ميتشيكو أوياما

مكتبة

خميس بنكهة الشوكولاتة

المركز الثقافي العربي

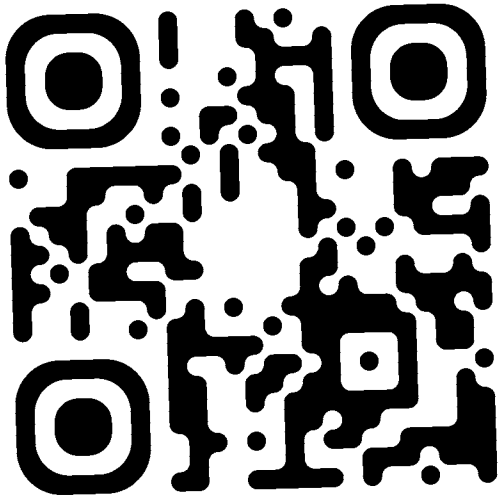

سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

ميتشيكو أوياما

خميسٌ بنكهة الشوكولاتة

الكتاب
خميسٌ بنكهة الشوكولاتة
تأليف
ميتشيكو أوياما
ترجمة
حسين عمر
الطبعة
الأولى، 2025
الإيداع القانوني:
2025MO4228
الترقيم الدولي:
ISBN: 978-9920-657-98-3
جميع الحقوق محفوظة
© المركز الثقافي العربي
الناشر
المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء ـ المغرب
ص.ب: 4006 (سيدنا)
42 الشارع الملكي (الأحباس)
هاتف: 0522 303339 ـ 0522 307651
فاكس: 212+ 522 305726
Email: markaz.casablanca@gmail.com

العنوان الأصلي للرواية:
MOKUYOUBI NI HA COCOA WO
© Michiko Aoyama, 2017
All rights reserved

حقوق الترجمة العربية محفوظة
© المركز الثقافي العربي

نُشرت الطبعة اليابانية الأصلية من قِبَل
Takarajimasha Inc., Tokyo
تم تنسيق حقوق الترجمة العربية مع
Takarajimasha Inc.، من خلال
The English Agency (Japan) Ltd.
و New River Literary Ltd.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ميتشيكو أوياما

مكتبة
t.me/soramnqraa

خميسٌ بنكهة الشوكولاتة

روايـة

ترجمة: حسين عمر

المركز الثقافي العربي

الفصل الأوّل

خميسٌ بنكهة الشوكولاتة

البُنّي • طوكيو

مَن أحببتُها، كانت شوكولا شو(*).

لم أكن أعرف اسمها الحقيقي. أنا مَن أطلقَ عليها هذا اللقب.

كانت تجلس بجانب النافذة، في ركنٍ من مقهى ماربل حيث كنتُ أعمل.

منذ ستّة أشهر، وهي تأتي بمفردها وتجلس دائماً في نفس المكان، وتطلب دائماً نفس المشروب.

- شوكولا شو، من فضلك.

كانت ترفع إليّ عينين برّاقتين مثل قطرتَي ماء بعد مطرٍ غزيرٍ، وشعرها الكستنائي يتماوج حتى كتفيها.

*

(*) شوكولاتة ساخنة - المترجم.

مكتبة
t.me/soramnqraa

كان مقهى ماربل يقعُ في حيٍّ سكنيٍّ هادئٍ.

هو عبارة عن متجرٍ صغيرٍ مخفيٍّ خلف أشجارٍ ضخمة، في نهاية صفٍّ من أشجار الكرز ممتدٍّ على ضفاف النهر. كانت بعض المحلّات والمؤسسات تقع على الضفّة الأخرى من النهر، الموصولة بجسرٍ، ولكن عدد المارّة في هذا الطرف كان قليلاً لأنّه لم يكن فيه سوى دور سكنية. ولأنّ مالك المقهى لم يكن يروّج له بالإعلانات، ولأنّه لم يكن محلّ اهتمام أيٍّ من المجلّات، وحدهم بعض المعتادين على ارتياده كانوا على علمٍ بوجوده.

كان المقهى يضمّ ثلاث طاولات بكراسيها الخشبية، ومنضدة أمامها خمسة مقاعد عالية بلا مساند، وتتدلّى من سقفه مصابيح.

لم يسبق له أبداً أن امتلأ بالزبائن، ولكنّه أيضاً لم يفرغ أبداً، فكنتُ أستقبلُ كلّ يومٍ الزبائن، مرتدياً مئزري الأبيض، المربوط بإحكامٍ.

كانت شوكولا شو تأتي كلّ خميسٍ.

تدفع الباب بعد الساعة الثالثة عصراً بقليل، وتمكثُ في المقهى ما يقرب ثلاث ساعات.

كانت غالباً تكتبُ أو تقرأُ رسائل طويلة باللغة الإنجليزية، مرفقة بمظاريف مرسلة بالبريد الجوّي، كما تقرأُ كتباً باللغة الإنجليزية، أو تنظرُ بإعجابٍ إلى المنظر الطبيعي عبر النافذة الزجاجية. كان زبائن ما بعد الظهيرة خلال الأسبوع عموماً من

آباء وأمّهات مع أطفالهم أو من المسنّين، في حين كان من النادر رؤية شابّات مثل شوكولا شو في المقهى. لم تكن تبدو في مظهر طالبة جامعية، ولم يكن في إصبعها خاتمُ ارتباطٍ. اعتقدتُ أنّها تكبرني ببضع سنواتٍ، أنا البالغ ثلاثة وعشرين عاماً.

لم أكن أُجيد تحدّث اللغة الإنجليزية ولو بكلمةٍ واحدة. ولم أكن أتذكّر حتى آخر رسالة كتبتُها.

لذلك، بدا لي أمراً غير واقعيٍّ أن تدوّن يومياتها ومشاعرها كتابةً، وأن ترسلها إلى بلدٍ أجنبيٍّ وأن تتلقّاها منه. كانت تستخدم أوراق رسائل رقيقة كورق النسخ، ومغلّفات حوافها ملوّنة بالأحمر والأبيض والأزرق. وجدتُ أنّه من الغريب كتابة رسائل طويلة في العصر الرقمي وبدت لي شوكولا شو شيئاً فشيئاً منفصلةً عن الواقع لكي تُعجَب بنشاطٍ على هذه الدرجة من القِدَم. وبالمرور بجانبها، لاحظتُ أنّ خطّها رائع الجمال بقلم الحبر، وتساءلت ما قد تكون الصيغ السحرية التي تكتبها.

كنتُ أعشقُ أن أراقبها وهي منهمكة في الكتابة. كانت شفتاها تُفرجان عن ابتسامة لطيفة وتحمرّ خدّاها الشاحبتان. حينما ترمشُ تُلقي أجفانها الطويلة ظلّاً تحت عينيها.

في تلك اللحظات، لم تكن تنظر إليّ أبداً، فكان بوسعي أن أتأمّلها قدر ما شئت. لا بدّ أنّها تحبّ متلقّي تلك الرسائل حقاً، كنتُ أقول في سري بشيءٍ من الحنان ولمسةٍ من الغيرة.

*

كنتُ قد باشرتُ العمل في المقهى منذ عامين، في مقتبل فصل الصيف.

كان كلّ شيءٍ قد بدأ أثناء نزهةٍ على طول ضفّة النهر، تحت أشجار الكرز الناشرة أوراقها الصفراء. كنتُ أُريد أن أعرف إلى أين يمتدّ صفّ الأشجار.

في تلك الفترة، كنتُ بلا عمل. كانت سلسلة المطاعم التي عملتُ فيها منذ انتهاء دراستي الثانوية تواجه صعوبات مالية، وتخضع لإعادة هيكلة. ذهبتُ في ذلك اليوم إلى وكالة العمل ولم تُسفِر جهودي عن شيء. لم يكن لديّ سوى القلق ووقت فراغٍ لا أعرف ماذا أفعل به. استغللتُ ذلك لكي أمشي حتى آخر شجرة كرزٍ ووقعتُ على مقهى ماربل تحت ظلال أوراق الشجر الكثيفة.

مقهى، هنا؟ بعد أن تفقّدتُ نقودي في محفظتي، دفعتُ الباب. كان بوسعي أن أطلب فنجاناً من القهوة.

كانت صالة المقهى صغيرة، ولكنّها باعثة على الهدوء. وبما أنّه لم يكن لديّ أيّ مكانٍ أذهب إليه، سعدتُ بإيجادِ مكانٍ في المقهى. شعرتُ بنفس الارتياح الذي كنتُ أشعرُ به عندما أدخل إلى غرفتي، رغم أنّها كانت زيارتي الأولى. كان الجوّ نقيض الضوضاء التي تسود سلاسل المطاعم. تمنّيتُ لو أستطيع العمل فيه...

جلتُ ببصري على المقهى، وفجأةً حبستُ أنفاسي، متوتّراً. كان موظّفٌ يعلّق إعلاناً على الجدار: «يلزمنا عامل!

التعيين بموجب عقد محدّد المدّة». يا لها من صدفة رائعة. نبض قلبي بدقاتٍ متسارعة، وجلستُ إلى المنضدة.

أحضر لي الرجل قائمة المشروبات مع كوبٍ من الماء. بدا أنّه في الخمسينيات من عمره. بدا الرجل القصير والنحيل لا مبالياً. كانت الشامة الظاهرة في وسط جبينه تترك انطباعاً قويّاً. قرأتُ قائمة المشروبات الأنيقة ثمّ طلبتُ وأنا أتفحّص الأسعار.

- فنجانٌ من القهوة، من فضلك.

- حسناً.

انتقل الرجل ذو الشامة إلى خلف المنضدة. ظللتُ أراقبه وهو يعكف على إعداد مشروبي بماكينة قهوة تعمل بالتفريغ.

- عفواً... هل حضرتك المدير؟

- نعم. يمكنك أن تناديني «ماستر»، فلطالما حلمتُ بتحضير القهوة في محلّي الخاصّ.

قدّم لي فنجان القهوة دون أن يبارح مكانه خلف المنضدة. كان الفنجان الذي تصاعد منه رائحة قويّة من الخزف غير المطلي بالمينا. أمّا القهوة، فقد انتشرت نكتها اللذيذة، لكن القويّة، شيئاً فشيئاً في فمي. كانت رشفةٌ واحدة منها كافيةً لكي تحفّزني على النهوض من كرسيّ.

- أودّ أن أعمل هنا. هل يمكنني إجراء مقابلة للحصول على العقد محدّد المدّة؟

دون أن يتفوّه بكلمة واحدة، أمعن النظر فيّ لثوانٍ في هيئة جدّية، ثمّ قال لي:

- حسناً. ألا تريد العمل بعقدٍ دائمٍ، بدل ذلك؟

بقيتُ صامتاً حيال عرضه. لقد قدّم لي وظيفةً حتى دون أن يعرف اسمي! وعلاوة على ذلك، بعقدٍ دائمٍ، وليس بعقدٍ محدّد المدّة!

- ولكن... ألا تريدُ سيرتي الذاتية ونسخة من بطاقتي الشخصيّة؟

- كلا. بالنسبة إليّ، يكفيني الانطباع الأوّل. هل تفضّل عقداً محدّد المدّة؟ هل يسبّب العقد الدائم مشكلة لك؟

- لا، إطلاقاً...

- قُضي الأمر إذاً.

خرج من خلف المنضدة، ونزع إعلان الوظيفة.

هكذا باشرتُ العمل في مقهى ماربل. في خضم ذلك، قال لي ماستر:

- واتارو، سوف أغيب لبعض الوقت، لذا تصرّف بما يمليه عليك شعورك. كنت أنوي ترك المقهى لأحدهم عاجلاً أو آجلاً. لقد جئتَ أبكَر ممّا كان متوقّعاً، ولا بأس في ذلك!

- ولكن هذا المقهى هو حلمك، أليس كذلك؟ سألته، غير مقتنع بكلامه.

- لقد أصبح حلمي حقيقةً. أنا أحبّ أن أحلم، ولذلك سئمتُ! أجاب وعيناه تلمعان فرحاً.

*

على مدى عامين، أدرتُ مقهى ماربل وحدي. بالطبع، ظلّ ماستر هو المالك بينما عملتُ مديراً بموجب عقد عملٍ. لم يكن تكليفي فجأةً بإدارة منشأةٍ أمراً عاديّاً، لكن الظروف كانت غريبة جداً بحيث لم يتسنَّ لي طرح الأسئلة على نفسي. لم يكن هناك دليل عملٍ كما هو الحال في سلسلة المطاعم، واكتفى ماستر بأن كشف لي كيفية عمل قفل باب المدخل. تعلّمتُ من أخطائي من خلال القيام بأفضل ما لديّ وتزايد عدد الزبائن المنتظمين تدريجيّاً: امرأةٌ مسنّة اعتبرتني حفيدها، وأبٌ مع ابنه العائد من الروضة. كان ماستر يحضر من حينٍ لآخر دون سابق إنذارٍ إلى مقهاه الذي زيّنته بطريقتي الخاصّة، وفي كلّ مرّة، كان يغيّر اللوحات على الجدران أو يجلس إلى المنضدة ليقرأ الجريدة الرياضية، وكأنه أحد روّاد المقهى.

اقتصرت مساحتي على هذا المقهى، الواقع في قلب مبنى من طابقٍ واحدٍ. لكن هذا العالم الصغير كان كافياً بالنسبة إليّ. حتى إذا كانت صالة المقهى قديمة وضيّقة، كان من السهل أن أطبخ بفضل موقد الغاز، وكنتُ أعشقُ هذا المقهى على نحوٍ خاصّ. ثمّ أنني وقعتُ في حب زبونةٍ ذكيّةٍ ذات شعرٍ كستنائيّ.

ربّما لم يكن من المستحسَن أن يقع موظّفٌ في حب زبونةٍ، لكنني كنتُ أكتفي بحبٍ من طرفٍ واحدٍ. كنتُ أحبّ أن أحلم، بحسب تعبير ماستر. لم يكن في هذا الحب ما هو غير لائق. كلّ ما في الأمر هو أنّه كانت لديّ مشاعر تجاهها وحسب.

جعلني هذا الشعور البسيط أقوى. دفعني إلى أن أقدّم أفضل ما لديّ. على سبيل المثال...

يوم الخميس، كنت أقدّم لها أفضل كوب شوكولا شو. لم يتجاوز الأمر هذا الحدّ.

*

كان أحد أيام الخميس من أواسط شهر يوليو، بعد موسم الأمطار، حينما أشرقت الشمس من جديد.

بعد الساعة الثالثة عصراً بقليل، كنتُ على أحرّ من الجمر حينما فُتِحَ الباب، مثل العادة.

لكنّ شوكولا شو كانت مختلفةً هذه المرّة. بدت منهَكة، متهدّلة الكتفين لدرجة أنّهما بالكاد حملتا حقيبتها. لسوء الحظّ، كانت إحداهنّ قد سبقتها إلى الجلوس في مكانها المعتاد: امرأةٌ ترتدي بلوزة أنيقة فوق تنورة مستقيمة، وتبدو سريعة البديهة. كانت محاطةً بالكتب، تكتب دون هوادة على حاسوبها اللوحي. رمقتها شوكولا شو بنظرة سريعة ثمّ جلست إلى الطاولة التي تقع في وسط الصالة، مديرة ظهرها لمكانها المعتاد.

جلبتُ لها كوباً من الماء وقائمة المشروبات، ولكنّها، بكشل غير مفاجئ، طلبت كوباً من الشوكولا شو رغم حرارة الجوّ التي تجعلك تتصبب عرقاً. نظرت إليّ في تلك اللحظة، قبل أن تُعيد بصرها إلى الطاولة في الحال.

بعدما قدّمتُ لها الكوب، ظلّت مطأطئة رأسها. لم تُخرج من حقيبتها لا ورق رسائل، ولا قلم حبر، ولا كتاباً. ظلّت تحدّق في حافة الطاولة فحسب.

وعندها لمحتُ الدموع تسيل على خدّيها.

أردتُ أن أهرع نحوها، ولكنني لم أستطع فعل ذلك.

بالنسبة إليها، لم أكن سوى آلة تقديم الطلبات. من خلال مظهرها، تصوّرتُها مثقّفة، ناطقة بالإنجليزية، عائدة من رحلة طويلة في الخارج، أو أنّها تسافر بانتظام. لا بدّ أنّ متلقّي رسائلها هو حبيبها الذي تربطها به علاقة بعيدة المدى. كانت هذه المرأة تعيش في عالمٍ بعيدٍ جدّاً عن عالمي، دون أيّ قاسمٍ مشتركٍ، عدا هذا المقهى.

ومع ذلك، في تلك اللحظة التي كنتُ فيها قريباً جدّاً منها بحيث كان بوسعي أن ألمسها، رغبتُ أشدّ الرغبة في أن أمسح دموعها، وأمسك بيدها، وأقول لها إنّ كلّ شيء سيكون على ما يُرام.

لكنّ هذه المعجزة لن تحدث أبداً. علاوة على ذلك، لم يكن بوسعي أن أعرف ما إذا كان كلّ شيء سيكون على ما يُرام حقاً.

عاملُ مقهى وزبونةٌ. كيف لي أن أساعدها؟ أنا الذي لم يكن ليّ الحقّ في نزع مئزري...

فجأةً، سقط كتابان على الأرض وأحدثا ضجّةً كبيرة. سقطا من السيّدة صاحبة الحاسوب اللوحي الجالسة في مكان شوكولا شو المعتاد. تنهّدت بعمق وغيظ والتقطتهما. من الغريب أنّ هاتين الزبونتين كانتا تواجهان المشاكل.

- يا إلهي! لقد تأخّرت!

ألقت نظرةً على ساعة يدها، ثمّ دسّت كتبها في حقيبة سوداء فاخرة قبل أن تُسرِع نحو صندوق المحاسبة.

سُعدتُ كثيراً بمغادرتها، وإن كان هذا التفكير أنانيّاً من قبلي بعض الشيء. أعددتُ لها الفاتورة على عجلٍ، وهرعتُ، متسلّحاً بصينيتي، نحو طاولتها التي باتت شاغرة. وجدتُ على الطاولة فنجان قهوة مثلّجة فارغاً، وكوب ماءٍ نصف ملآنٍ، وغلاف مصّاصة شرب. نقلتُ كلّ شيء على صينيتي بسرعة الضوء، لدرجة أنّه لو كانت هناك مسابقة للملمة الطاولات، لحقّقت الفوز فيها بكلّ تأكيد. مسحتُ الطاولة.

- المكان شاغر.

مكتبة
t.me/soramnqraa

توجّهتُ إلى شوكولا شو بصوتٍ حادٍّ جدّاً بحيث رفعت فجأةً رأسها. ندمتُ على تصرّفي المبالغ فيه، ولكنني أردتُ أن أُخبرها بما أشعر به فاستجمعتُ شجاعتي.

- إنّه مكانكِ المعتاد. وبرأيي، سوف تشعرين بتحسّنٍ على طاولتكِ المفضّلة.

اتّسعت عيناها أكثر من ذي قبل، واستدارت نحو الكرسي الشاغر، وقد بدت عليها الدهشة.

في اللحظة التالية، ابتسمت لي وقالت:

- شكراً. أنت بالتأكيد على حقّ!

جلست شوكولا شو في مكانها، وتأمّلت لبعض الوقت المنظر من خلال النافذة. أفرغت كوبها، وللمرّة الأولى، طلبت منّي كوباً ثانياً.

وفي اللحظة التي قدّمتُ لها الكوب، شرعت في كتابة رسالة، كما جرت العادة. كنتُ أهمّ بوضع الكوب أمامها، عندما قالت لي: «قُل...». فوجئتُ لدرجة أنّ بعض القطرات من الشوكولا شو انسكبت على ورقة الرسالة.

- المعذرة! أنا آسف حقّاً!

لقد أفسدتُ كلّ شيء. شعرتُ بدمي يجري في عروقي، مثل مدّ وجزر الأمواج. سارعتُ إلى إحضار منديلٍ ورقيٍّ لمسح القهوة.

- مهلاً!

وضعت شوكولا شو يدها على يدي، ففقز قلبي مثلما تقفزُ سمكة خارج الماء.

- انظُر إلى قطرات القهوة وكأنّها رسمت قلباً!

قلبٌ؟

عند كلماتها هذه، نظرتُ بتركيزٍ أكبر، وبالفعل، كانت بقعة الشوكولاتة تشبه قلباً بُنّي اللون مشوّهاً بعض الشيء.

- هذا ظريف! سوف أرسل الرسالة على هذه الحال.

انفعلتْ مثل طفلةٍ اكتشفت قوس قزحٍ. ولأوّل مرّة، سمعتُها تضحك. لم تكفّ السمكة التي في داخلي عن النطنطة.

- سأكتب: «تدفئي بشوكولاتة ساخنة!».

كتبت العبارة باللغة الإنجليزية بكتابة متقنة.

كتبت ذلك بوجهٍ مشرق، في مكانها المعتاد، مثل العادة.

تحدث المعجزات حتى في هذا العالم الصغير. يدٌ ناعمة تلامس يدي لأوّل مرّة. ابتسامةٌ جميلة لي وحدي.

بجانب القلب المتشكّل من الشوكولاتة المنسكبة، كتبت باللغة الإنجليزية: «My dear best friend, Mary».

دون أن أتحدّث الإنجليزية، أدركتُ أنّها كانت تكتب هذه الرسائل إلى صديقتها المقرّبة ماري.

لم أفهم سبب انهمار دموع شوكولا شو، ولكنني سُعدتُ بأنّ متلقّي الرسائل لم يكن حبيبها، وأخفيتُ ابتسامةً خلف صينية الطلبات.

الفصل الثاني

عجّة البيض الملفوفة

الأصفر • طوكيو

كنتُ أهمّ بالخروج من مقهى ماربل، حينما سقطت كتبي من حقيبة يدي. لم تكن الأغلفة الطفولية تناسب إطلاقاً حقيبتي من طراز هيرميس بيركين. أعدتُ وضعها كلّها في قاع الحقيبة، ثمّ ذهبتُ لاصطحاب ابني تاكومي من الروضة.

في الحالة الطبيعية، كان على المرء أن يذهب لإحضار طفله من الروضة في الساعة الثانية بعد الظهر، ولكن كان من الممكن تمديد الوقت إلى الساعة الرابعة عصراً. كان زوجي تيرويا قد قدّم الطلب مسبقاً، وبذلك استطعتُ أن أَحضَر اجتماعاً في بداية فترة ما بعد الظهيرة ومغادرة عملي قبل حلول الموعد. انتهى الاجتماع قبل المدّة المحدّدة له، فخطّطتُ لأن أتحضّر لليوم التالي وأنا أشرب كوباً من الشاي في المقهى المفضّل لديّ، على ضفّة النهر.

كان مقهى ماربل ملاذي الآمن. فهو يقع في نهاية صفٍّ من أشجار الكرز، ويمكن الاستمتاع بمنظر تعاقب الفصول من

خلال نوافذه الزجاجية. كان الديكور الداخلي فيه باعثاً على الهدوء، وفوق ذلك، كان النادل شاباً، ولطيفاً، وعلى بساطةٍ نادرة بالنسبة لفتى من جيله. لم تكن شطائره الساخنة استثنائية، ولكنّه كان يعدّها بعناية وكانت تذكّرني بالماضي بطريقةٍ ما. أعتقدُ حقّاً أنّ المطبخ يكشف عن شخصيتنا.

لكن اليوم، لم أستطع أن أسترخي وأستمتع بالمكان. فبينما كنتُ أفتحُ كتاباً، مستعدّة للمغامرة في جنسٍ أدبي لم أستكشفه بعد، تلقّيتُ بريداً إلكترونيّاً عاجلاً من مكان عملي. كان موظّفٌ يعمل تحت إمرتي قد ارتكب خطأً ويحتاج إلى مساعدتي. أعطيته تعليماتي مباشرةً وقدّمتُ له يد العون، معتذرةً من الزبون.

كنتُ أركّز على الرسالة الواردة بالبريد الإلكتروني، ممسكة بالحاسوب اللوحي بين يديّ حينما أسقطتُ كتبي. تلفت زواياها تماماً في حين أنّها كانت لا تزال جديدة. أطلقتُ تنهيدةً عميقة. شعرتُ وكأنّه يُقال لي: «ستفشلين».

نظرتُ إلى ساعة يدي، فوجدتُ أنّها تقارب الرابعة عصراً، وهو توقيتُ ذهابي لاصطحاب ابني. في ذلك الوقت من منتصف شهر يوليو، كانت أشعّة الشمس لا تزال حارّة. وكما لو أنّ حتى الشمس تطاردني، أسرعتُ الخطى، مرتديةً جوارب طويلة. كانت حقيبة يدي ممتلئة تماماً، فعلاوة على ملفّات العمل، كنت قد أخذتُ مجلّتين في طبعة خاصّة.

كانت المدرسة تقع على الضفّة الأخرى للنهر، والوصول إليها يتمّ من خلال عبور الجسر. بعد أن أصطحب تاكومي، سنذهب لنتناول العشاء باكراً في مطعم عائليّ، وسنعود إلى البيت وثمّ... أوه، ينبغي أيضاً أن أحمّمه وأن أضعه في السرير لكي ينام. ولكن كان عليّ أن أتدرّب. كانت هناك مهمّة عليّ أن أنجزها، وهي الأهمّ منذ زواجي، وهي مسؤولية أثقل بكثير من وظيفتي.

غداً، سيكون عليّ أن أعدّ لأوّل مرّة صندوق غداء تاكومي.

الكتبُ الخاصّة بإعداد صناديق الغداء والتي تصفّحتها في المقهى ذكرت «الألوان الخمسة الأساسية لإعداد صندوق غداء شهي»: الأحمر، الأخضر، الأسود، البُنّي، والأصفر. بالنسبة إلى الأحمر، كان يمكنني ببساطة أن أضيف حبّة طماطم صغيرة. وبالنسبة إلى الأخضر، هناك البروكولي، وإن لم أكن أجيد طبخه، فلا بدّ أنّ الأمر لا يتطلّب مهارات خاصة. أمّا بالنسبة إلى الأسود، فكان يكفيني أن أغلّف كرةً من الأرزّ بالطحلب الأسود، واللون البُنّي يمكن الحصول عليه بشوي قطعةٍ من النقانق. لم أكن متأكّدة، ولكن إذا كانت قطعٌ صغيرة ستفي بالغرض، فلِمَ لا تكون قطعاً صغيرة من الأخطبوط أو السلطعون؟

الأصفر.

نعم، المشكلة تكمن هنا. لوضع طعامٍ أصفر اللون في صندوق غداءٍ، ليس هناك سوى طعامٍ واحدٍ...

*

لمحتُ بوّابة روضة الأطفال. كانت هذه المرّة الأولى التي أذهب فيها لاصطحاب تاكومي من الروضة. كان يرتاد هذه المدرسة منذ أكثر من عامين، ولم أذهب إليها إلّا لحضور حفل بدء العام الدراسي، والمسابقات الرياضية، وعيد الميلاد. وفي كلّ مناسبة، صوّرنا أنا وتيرويا ابننا. ولكن اليوم، لم يكن زوجي برفقتي. كنت قلقة ومتوتّرة من كوني وحيدة. وفيما كنتُ أعبر البوّابة، حياني شخصٌ يقف جانباً: «مرحباً!».

التفتتُّ نحو مجموعةٍ من أربع أمّهات. رأيتُ أطفالاً يركضون من حولهنّ، وتصلّب جسدي لفكرة أنني لم أتعرّف على الأمّهات ولا على الأطفال.

نظرت إليّ أمٌّ ترتدي قميصاً مخطّطاً. من المؤكّد أنّها تلك التي ألقت عليّ التحيّة. كانت تعقد شعرها الجافّ إلى الخلف في تسريحة ذيل الحصان، وتضع نظارات ذات إطارٍ فضّي.

- ألم يأتِ الأب؟

- أوه، كلّا، أتيت أنا هذه المرة.

حاولتُ أن أبتسم بلطفٍ، وأنا أتساءل مَنْ تكون. ابتسمت

لي المرأة ذات القميض المخطّط، دون أن تسترسل في الحديث. ولأنني أردتُ أن أبتعد بأسرع ما يمكن، توجّهتُ نحو المدرسة ملقية عليهنّ التحيّة بإيماءةٍ من رأسي. ألقت الأمّهات الأخريات بدورهنّ عليّ التحية مع ابتسامة متكلفة وشعرتُ بأنّهنّ لم يرفعن أبصارهنّ عنّي.

وما إن أدرتُ ظهري، حتى سمعتُهنّ يتهامسن:

- مَنْ تكون هذه؟

- والدةُ تاكومي.

- أوه، حقاً؟

- أَلَم يأتِ والده؟ يا للخسارة، لقد طلبتُ أن يُمدّد دوام ابني حتى الساعة الرابعة عصراً بسبب عملي، وكنتُ آملُ أن ألتقيه، بما أنّ تاكومي هنا! قالت إحداهنّ والحسرةُ في صوتها.

تجمّدتُ في مكاني.

هكذا إذاً، زوجي يحظي بشعبية كبيرة! ودون أن ألتفت إليهنّ، عاودتُ السير في طريقي.

في الداخل، أسرع تاكومي نحوي، فيما تطاير شعره المقصوص على شكلِ وعاءٍ.

- ماما!

مددتُ ذراعيّ نحوه ورفعته نحوي وحلّقتُ به. كان يعشق الطائرات وإن لم يكن قد صعد أبداً إلى متنها.

اقتربت منّي معلّمته، البالغة نحو عشرين عاماً. كانت

المعلّمة المساعدة، أري. كانت بشرتها ملساء مثل بيضة مسلوقة قُشِّرت لتوّها، وكان مئزرها الوردي يناسبها تماماً.

- أوه، هذه أوّل مرّة تأتي ماما لتأخذك إلى البيت! كم أنت محظوظٌ، يا تاكومي!

ها نحن أولاء مجدداً. هل كان حضوري مفاجئاً إلى هذه الدرجة أم أن جميع هؤلاء النسوة يرغبن في رؤية زوجي إلى هذا الحدّ؟ ربّما كنتُ مصابةً بجنون الارتياب، ولكنني اعتبرتُ هذا بمثابة نقدٍ، أنا التي لم أكن أصحبُ ابني إلى الروضة ولا أُعيده منها أبداً.

أخذ تاكومي حقيبته من خزانته.

- اليوم، بابا في كيوتو، قال لأري بافتخار.

انحنت نحوه لكي تنظر في عينيه.

- في كيوتو؟ أهو في رحلة؟

- كلا، إنّه في عمله!

- أوه، هل عثر على وظيفة؟

- لا يمكننا أن نسمّي ذلك وظيفة حقاً، أجبتُ وأنا أساعد تاكومي على وضع حقيبته على كتفه.

- تاكومي في طوكيو، بابا في كيوتو. طوكيو وكيوتو!

اندفع نحو الباب وهو يردّد مبتهجاً اسمَي المدينتين اللذين حفظهما حديثاً. يستمتع دماغُ طفلٍ في الخامسة من عمره حتماً بتعلّم أشياء جديدة.

من خلال النافذة، رأيتُ مجموعة الأمّهات اللواتي كنّ لا يزلن في غمرة الدردشة.

- المعذرة، السيّدة ذات القميص المخطّط، أمّ مَن تكون؟ همستُ للآنسة أري.

- أمّ رورو، رورو سويجيما.

«سويجيما، رورو سويجيما»، رددتُ في ذهني. نعم، تذكّرتها الآن، كانت تجلس إلى جانبي في حفل بدء العام الدراسي. أعتقدُ أننا تعارفنا بسرعة.

- إلى اللقاء، يا أري.

عندما انحنيتُ برأسي لتحيّتها، لاحظتُ وجود شارة اسمية مطرّزة، مخاطة على مئزرها. ويحي، اسمها إينا وليس أري.

ودون أن تعير ذلك بالاً، أجابتني «إلى اللقاء!» بنبرة مرحة ثمّ انضمّت إلى أمٍّ أخرى.

إلى اللقاء إذاً. خرجتُ مسرعةً من المبنى، كأنني هاربة من سجن. لا بدّ أنّها عدّتني غبيّة. سالت قطراتٌ من العرق على جبيني، لم يكن سببها الحرارة فقط.

ما إن أصبحنا على الرصيف وأنا أمسك بيد تاكومي، حتى رفع رأسه نحوي.

- أخبريني، يا ماما. هل ذهب بابا في طائرة؟

- لا، لقد ذهب إلى كيوتو على متن قطار شينكانسن فائق السرعة.

- هل يطير قطار شينكانس؟

- لا.

- لكنّ الخنفساء تطير!

- ليس لهذا علاقة بالموضوع!

- قطار تاكومي المتّجه إلى كيوتو على وشك المغادرة. يُرجى الانتباه للانطلاق!

كان يقول أشياء من دون معنى، لكني وجدتُ ذلك مضحكاً، فانفجرتُ ضاحكةً وشددتُ على يد ابني الرطبة.

كانت حشرات الزيز تصدر أزيزاً. تذكّرتُ أنّ تاكومي كان قد جلب مؤخّراً قشرةَ زيزٍ التقطها مع والده. حينما فكّرت في أنّهما كانا يتنزّهان كلّ يوم على هذا الطريق الشاهد على مرور الفصول، شعرتُ بأنني منبوذة وضاق صدري.

*

كان زوجي رسّاماً، ولكنّه لم يبع لوحاته بعد، واكتفى بإنجازها. كنّا قد التقينا في وكالة للإعلانات. كان مرؤوسي، ويصغرني سنّاً بعامين.

قبل زواجنا مباشرةً، كشف لي عن رغبته في الرسم وسألني إن كان يستطيع الاستقالة لكي يهتمّ بالأعمال المنزلية.

عانيتُ صعوبةً في إخفاء دهشتي، ولكن في قرارة نفسي،

اعتبرتُ نفسي محظوظةً. فلطالما عشتُ مع والديّ، دون أن أجلي كوباً ولا حتى أن أضغط على زرّ تشغيل طبّاخ الأرزّ.

كانت وظيفتي أمتع بكثيرٍ من الأعمال المنزلية. وكوني عماد الأسرة وأدعم زوجاً يطمح لأن يصبح رسّاماً، منحني سبباً وجيهاً لكيلا أتولّى الأمر بنفسي.

وهكذا عملتُ بحماسةٍ متزايدة في حين أصبح تيرويا زوجاً يمنح العناية والرعاية. كان طبّاخاً ماهراً، ويقوم حتى بكي الملاءات، ولا يترك ذرّة من الغبار في البيت. وعلاوة على ذلك، كان ينسجم على نحوٍ رائعٍ مع والديّ اللذين كانا يقيمان على بعد ساعةٍ بالقطار من مكان إقامتنا. وخلال إجازتي الأمومية، اعتنى بي كثيراً، وعند ولادة تاكومي، سمح لي أن أنام في غرفة منفصلة أحياناً لأتعافى وأسترجع قواي. انتقلنا سريعاً إلى الحليب الصناعي لأنني عدتُ إلى العمل مبكراً، ولكن أيضاً لأنني لم أكن أدرّ ما يكفي من حليب الأمّ الطبيعي. وهذا أعطاني الشعور بأنني لا أولي ما يكفي من الاهتمام بابني. لم أشهد أيّاً من التطورات التي حدثت معه للمرّة الأولى، سواءً كان ذلك وقوفه على قدميه للمرّة الأولى أو خطواته الأولى. ولدخوله إلى الروضة، لم يتردّد زوجي في صنع حقيبة لأغراض تاكومي وكذلك حقيبة أحذية (التي ابتهج بها كثيراً)، اللتين اشترطت المدرسة أن تكونا مصنوعتين يدوياً. كانتا في غاية الإتقان والجودة بحيث بدتا وكأنّهما صنعتا بيدي حرفيٍّ بارعٍ. اقترحتُ عليه أن يبيع بعض الحقائب للأمّهات

اللواتي لا يُجدن خياطتها، ولكنّه ضحك في وجهي، مؤكّداً على أنّهما لم تكونا بهذه الجودة. لم يهتمّ بالأمر، ومع ذلك، كان بإمكاني مساعدته لو كان يرغب في ذلك.

على أيّة حال، كانت عائلتنا شديدة التنظيم، إلى اليوم الذي تلقينا فيه دعوةً من كيوتو.

كنتُ أعلم أنّ لوحات تيرويا المنشورة على إنستغرام كانت مثار إعجابٍ لما فيها من إبداعٍ، وأنّها تحصد التعليقات وعدداً متزايداً من المتابعين، ولكن ليس إلى درجة أن يُعرَضَ عليه أن يشارِك في معرضٍ جماعيٍّ. نظّم المالك المجهول لدار عرضٍ في كيوتو معرضاً يضمّ خمسة فنّانين ورسّامين غير معروفين وعرض على تيرويا المشاركة فيه.

كانت رسوماته بالفعل مثيرة للاهتمام. كانت عبارة عن خُدعٍ بصرية يكتشف المرء فيها تدريجيّاً عناصرَ مختلفة انطلاقاً من مشهدٍ بسيطٍ. ولكنني لم أستطع القول إن كانت لافتة مقارنة بأعمال الكثير من الفنانين المشهورين في العالم أجمع. في البداية، شككت في أنها عملية احتيال تستهدف الحالمين والطامحين إلى الشهرة، وقمت بالبحث عن صالة العرض الفني هذه. لكنني لم أجد أي شيء غير طبيعي على الإنترنت، وبالنسبة إلى هذا المعرض الذي كان يُنظم بشكل منتظم، فلا تتم تغطية تكاليف السفر والفندق فحسب، بل تتمّ تغطية تكاليف المعرض أيضاً. لاحظتُ أنّ مالك الصالة يحظى نسبيّاً بالاحترام

والتقدير في الوسط الفني، وظهرت صورته على العديد من المواقع. لكن اسمه لم يُذكر في أي مكان، ولسببٍ لم أفهمه، كان يُلقب بـ «ماستر» فحسب. كان رجلاً متقدماً في السن ومتحفظاً بوجه عادي، باستثناء شامة في منتصف جبهته تلفت الانتباه. قد تكون لديه علاقات نافذة، إذ بدا واضحاً أنه ساعد عدداً كبيراً من الفنانين على تحقيق بعض الشهرة.

عندما تلقّى تيرويا رسالة خاصّة من ماستر على إنستغرام، أخبرني:

- المعرض سيقام من الجمعة إلى الأحد، لكن مع التجهيزات والاجتماعات، أودّ أن أوصل تاكومي إلى الروضة صباح الخميس وأذهب مباشرة إلى كيوتو. هل يمكنكِ أن تصطحبيه من الروضة مساء الخميس، وتوصليه إليها وتحضريه منها يوم الجمعة، وتحضّري وجبته؟ سأعود يوم الأحد في القطار الأخير.

لم أستطع أن أجيبه بالقول: «بالطبع»، بل كنت على وشك أن أردّ عليه بالقول: «هذا مستحيل، لديّ عمل». فأضاف أمام صمتي:

- إذا كنتِ قلقة بشأن نفقات السفر والفندق، فسأدفعها بنفسي. أنا لا أستخدم يناً واحداً من المال الذي تكسبينه يا آسامي، لذا قولي نعم، أرجوكِ.

كنت في حالة صدمة. هل منذ البداية، لم يكن يشتري شيئاً

ويقيّد نفسه في شغفه، بحجة أنه لا يكسب المال؟ هل بدّد مدخراته التي جمعها قبل زواجنا لشراء معدات الرسم الخاصة به؟

- لا، يمكنني أن أدفع عنكَ! أجبت على نحوٍ تلقائي.

ثم أدركت غطرستي. لقد قلت: «أدفع عنكَ».

لكن تيرويا لم يكترث.

- لا، حقاً، لا تقلقي. أنا أيضاً أكسب بعض المال.

- ماذا؟

كان يكسب المال؟

- نعم... لم أخبرك، لكنني في الوقت الحالي أتاجر في البورصة قليلاً وأبلي بلاءً حسناً، أوضح وهو مطأطئ الرأس عندما رأى دهشتي.

فقدت القدرة على الكلام. لم أتخيل شيئاً كهذا أبداً. نظرت إليه، فاغرة الفم.

- هل يمكنكِ الاعتناء بتاكومي؟

- حسناً، موافقة...، تمتمت، مأخوذة على حين غرة.

حينها تملكني القلق. لكن كان عليّ أن أتعامل مع الأمور، أمراً تلو الآخر.

لتوصيل تاكومي إلى الروضة وإحضاره منها، يمكنني بالتأكيد تنظيم عملي في الأيام المعنية. وبالنسبة إلى الوجبات في غياب تيرويا، سنذهب إلى المطعم وسأشتري وجبات جاهزة.

المشكلة كانت في علبة غداء يوم الجمعة.

الأحمر، الأخضر، الأسود، البُنّي ثم الأصفر. العجة الملفوفة التي لم يعد بإمكاني التراجع عنها.

*

بعد العودة إلى المنزل من العشاء في المطعم، تدربت على استخدام المقلاة واقفة في المطبخ. قرأت وصفة العجة الملفوفة مرات عديدة في كتبي وعلى الإنترنت، وحفظتها، لكن لسببٍ ما، لم أستطع إنجازها. كانت مسطحة، تلتصق بالمقلاة ولا تُلف جيداً. بالإضافة إلى ذلك، وبحسب الوصفات، كان يجب إضافة الملح أو السكر أو صلصة الصويا، أو نشاء البطاطس أو الحليب، وكنت أجهل المكوّنات التي يستخدمها تيرويا. ترددت في الاتصال به لطرح مثل هذا السؤال. مكتبة سُر مَن قرأ

تراكمت قطع العجّة غير الموفقة على سطح طاولة التحضير في المطبخ. وجاء تاكومي، الذي كان يشاهد التلفاز في غرفة المعيشة، ليراني.

- واو، ما هذا؟ سأل ببراءة.

أحبطني هذا السؤال، وبصمتٍ، كسرت بيضة جديدة في الوعاء.

وصلت إلينا موسيقى الرسوم المتحركة التي كان يشاهدها. وهو يغني، بدأ تاكومي رقصة غريبة، ثم بقفزات صغيرة، حاول

أن يبدو مثل طائرة حتى وصل إلى غرفة المعيشة مقلداً صوت المحرك.

خفقت البيض باستخدام عيدان طويلة للطبخ. لكن كم من الوقت يجب أن أخفق؟ وكم من دقيقة يستغرق طهيها المثالي؟ تشوّش حقل رؤيتي الأصفر تماماً وأدركت، مضطربة، أنني كنت أبكي.

لماذا؟ لماذا؟ لماذا كنت عاجزة عن إعداد عجة بسيطة؟

أنا التي درستُ بجدٍ منذ الطفولة، وبحثتُ عن عمل بجدٍ في الجامعة والتي، بمجرد دخولي الحياة المهنية، عملت بجدٍ، وكنت دائماً أتلقى الإشادة على تميّزي.

لكني لطالما هربت، في الواقع. لجأت إلى مهنتي، تاركة لتيرويا المهام التي أكرهها ورعاية تاكومي، وهو ما زعزع ثقتي بنفسي تماماً. هربت لأنني كنت معقدة من عجزي عن القيام بما يفعله الجميع بسهولة.

في المكتب، كان بإمكاني إدارة كل شيء. كنت أحفظ اسم ووجه عميلٍ قابلته ولو مرة واحدة، كنت أبدي رأيي بصراحة ودون قلق حتى مع مسؤول رفيع المستوى في شركة كبيرة. كنتُ أنجح في بناء مشروع مبتكر، وتقديم عرض أمام الجمهور، وتصحيح أخطاء مرؤوسيَّ، كنت أعرف أنني الأفضل.

لكن لم تكن لديّ أي صديقة لديها أسرة وأطفال. كانت أمهات زملاء تاكومي يخفنني. حتى أنني أخطأت في نطق اسم

معلمته. عندما أقشّر تفاحة لا يتبقى ما يؤكل منها، ولا أعرف كيف أفرز النفايات المنزلية، ناهيك عن القيام بمهمة صعبة مثل طي الملابس بإتقانٍ على غرار فنّ الأوريغامي.

حتى الآن، فخري الوحيد كان دعم أسرتي مالياً. لكن هذا أصبح من الماضي. كنت أجهل كم يكسب تيرويا من البورصة، لكن حتى لو فقدت راتبي، من المحتمل أن نحافظ على مستوى معيشة جيد. ما فائدة وجودي في هذه الأسرة إذاً، سواء لزوجي أو لابني؟

ماذا لو بيعت لوحات تيرويا؟ وماذا لو ظلّ غائباً باستمرار؟ لا تبع لوحاتك! لا تدع أحداً يدرك موهبتك! ابقَ مع تاكومي ومعي إلى الأبد!

غمرت الدموع خدَّي، ورن هاتفي حينها. نظرت إلى الشاشة: كان تيرويا.

- إنه بابا، هل تردّ عليه؟

أعطيت هاتفي المحمول لتاكومي، الذي ردّ على المكالمة بكل حماس. استمعت بشرودٍ لصوته.

- ألو؟ بابا! نعم... نعم... نعم، أكلت اللحم المفروم. رائع، ماما تطبخ الطعام! يبدو كحقل اللفت، إنه جميل جداً ويبدو شهياً!

توقفت يدي التي تمسك العيدان فجأة.

رفعت رأسي بشكل مفاجئ. حقل اللفت؟ ربما برزت هذه

الصورة في ذهنه لأنني استخدمت أطباقاً خضراء. بدا بيضي الفاشل يبتسم تحت هذه المجاملات.

– ماما، بابا يريد التحدث إليكِ! أعلن تاكومي وهو يناولني الهاتف.

– آسامي؟ هذا رائع! ماذا تطبخين؟

وعند سماع صوت تيرويا الحنون، أطلقت تنهيدة. انسحبت إلى الغرفة الخلفية حتى لا يسمعني تاكومي، وشرحت له كل شيء بهمس وأنا أنتحب.

– أريد أن أصنع عجة ملفوفة... لعلبة غداء تاكومي... لكنني لا أستطيع إنجاز ذلك على الإطلاق. ليس لها شكل وهي لزجة...

– هل تتدربين للغد؟ لستِ مضطرة لتحضير عجة ملفوفة، يمكن أن يكون بيضاً مخفوقاً أو بيضة مسلوقة.

– لا! يجب أن تكون عجة ملفوفة! بطاقة عيد الميلاد التي تلقاها تاكومي في المدرسة العام الماضي قالت إنه طبقه المفضّل، لذلك سيكون محبطاً إذا لم تكن موجودة في العلبة.

– لا، لن يكون كذلك!

– بلى، سيكون محبطاً! أنا أتبع وصفة الكتاب، فلماذا فشلت تماماً؟ مسكين تاكومي! لديه أم فاشلة لدرجة أنّها عاجزة عن صنع طبقٍ من العجّة!

- آسامي! قاطعني تيرويا بحدة.

انكمشت على نفسي، قلقة من أن يغضب مني، وهو نادراً ما يحدث، لكنه سألني بهدوء:

- أي مقلاة تستخدمين؟

- المستديرة والحمراء التي كانت معلّقة على الحائط...

- إنها قديمة، والتيفلون فيها متقشّر، لذلك يلتصق البيض في القاع. لدينا مقلاة مستطيلة خصيصاً للعجة الملفوفة، لا تعرفين أين هي لأنها مخزنة في مكان آخر. إنها جديدة تماماً، لذا سهلة الاستخدام. افتحي الباب تحت المغسلة، ذلك الذي عليه نقوش زرقاء.

عدت إلى المطبخ وكانت المقلاة المستطيلة الصغيرة تحت المغسلة بالفعل. كانت الكتب تذكر هذا النوع من الأدوات، لكنني ظننت أنها مخصّصة للمحترفين لالتقاط صورٍ جميلة.

- أولاً، سخّنيها جيداً. يجب أن تصدر صوت أزيزٍ عندما تصبين البيض فيها. وللتتبيل، أضيفي رشةَ ملح. استخدمي القليل من الزيت، لكن ليس مباشرة في المقلاة، بل ضعيه على منشفة ورقية وامسحي بها المقلاة. وأعتقد أنك قلبتِ العجة مبكراً جداً. سأبقى على الخط، جرّبي الآن.

وضعت هاتفي على حافة الرف واتبعت تعليماته. مع هذه المقلاة الخفيفة وسهلة الاستخدام، نجحت في إعداد عجّة شهية بحيث كنت أول المندهشين. كان صبّ البيض حتى الزوايا

يضمن الحصول على شكل مستوٍ دون أدنى صعوبة. لم يكن الأمر مثالياً، لكنه كان ناجحاً.

- أنا... أعتقد أنني نجحت.

- أرأيتِ؟!

بفضل التيفلون، انزلقت العجّة في الطبق دون أن تلتصق بالمقلاة.

- يا لها من مقلاة ممتازة! أما المستديرة، فلا تصلح لشيء!

- المستديرة ممتازة أيضاً. إنها سهلة الاستخدام لأنّها عميقة وثقيلة. إنّها الأفضل للطعام المقلي أو يخنة التوفو. كما يمكننا طهي المعكرونة فيها أيضاً. وعلى العكس من ذلك، رغم أن مقلاة العجّة جديدة وعملية، لا يمكن تحضير الطعام الصيني فيها. يجب استخدام الأداة المناسبة.

«استخدام الأداة المناسبة». واستني هذه العبارة. شعرت بالإعجاب تجاه المقلاة المستديرة الكبيرة التي كافحت من أجلي. من حسن الحظ أنني تحدثت مع تيرويا. كنت على وشك أن أشكره، لكنه سبقني:

- أحسنتِ! أنتِ أم رائعة، لستِ فاشلة على الإطلاق! جديتك وصراحتك هما سمتان أحبهما فيكِ.

راح الفراغ في قلبي يمتلئ تدريجياً. منحتني كلمات تيرويا فقاعة من الراحة.

- آمل أن يرى الكثير من الناس لوحاتك! أجبته بلطفٍ.

سأبذل قصارى جهدي للمشاركة في الأعمال المنزلية، على وتيرتي الخاصة. خطرت هذه الكلمات في ذهني، لكنني احتفظت بها لنفسي في تلك اللحظة. سأبدأ بتحية سويجيما وبلوزتها المخطّطة عندما أراها في الروضة غداً صباحاً.

دخل تاكومي المطبخ، وسألني:

- هل يمكنني أن آكل هذه؟

بالقرب مني، لمع رأسه المستدير بشعره الناعم. كانت يده الصغيرة التي تشير إلى قطع العجّة غير الموفقة تشبه فراشة بيضاء تحوم حول زهور لفت.

الفصل الثالث

نحن جميعاً نكبر

الوردي • طوكيو

- إينا، أريني يديك! طلبتْ منّي موكا، وقد رفعت نحوي عينيها المدوّرتين.

لم أتردّد سوى للحظة. لقد ارتمت عليّ هذا الصباح بكلّ لهفةٍ، في اللحظة التي غادرت فيها أمّها.

- يداي؟ تفضّلي، ها هما، قلتُ وأنا أمدّ يديّ نحوها.
- ولكن... أَلم يعد على أظافركِ الطلاء الوردي؟

ظهرت خيبة الأمل على وجهها.

- أوه، كلا، أجبتُ مبتسمةً.
- لماذا؟

لأنّه لم يُترَك لي الخيار.

أحجمت عن هذه الكلمات، وأمسكتُ بيدها.

- ما رأيكِ أن نذهب لنقرأ كتاباً، هناك؟

أومأت برأسها، لكنّها لم تنخدع. بقي سؤالها «لماذا؟» الذي ظلّ من دون جوابٍ محفوراً في ذهني.

كان ذلك في يوم الثلاثاء من الأسبوع الماضي.

كنتُ قد وضعتُ طلاء الأظافر بمناسبة لقاءِ خرّيجي المدرسة الإعدادية الذي نُظِّم خلال عطلة نهاية الأسبوع الممتدّة لثلاثة أيام في شهر سبتمبر، ونسيتُ إزالته قبل استئناف العمل. كنتُ منذ عامٍ ونصف معلّمةً في روضةٍ للأطفال، وذلك منذ تخرّجي من الجامعة. ربّما كنتُ قد أطلقتُ العنان لنفسي بعض الشيء.

لم يكن طلاءُ الأظافر ممنوعاً، ولكن كانت هذه قاعدةً ضمنيّة، فكانت إحدى زميلاتي لا تضع حتى مساحيق التجميل.

كان طلاء أظافري ورديّاً باهتاً نوعاً ما. كما أن أظافري كانت قصيرة، ولأنني لم أضِف أي مواد برّاقة ولا رقائق لمّاعة، لم أكن أخشى سقوطها في الطعام أو جرح أحد الأطفال. لم يكن هناك أي خطر. أردتُ أن أتصرّف وكأنّ شيئاً لم يكن، فقط في ذلك اليوم. سارت الأمور في تلك الصبيحة على ما يُرام، وحرصت على ألا يلاحظ الزميلات والأطفال شيئاً.

لكن في ساعة الغداء، وأنا أوزّع أكواب الحليب، صاحت موكا:

- واو! إينا، يداكِ جميلتان جدّاً!

لم أستطع إخفاءهما. كانت لا تزال لديّ أكوابٌ لتقديمها على صينيتي. تأكّدت أنّ المعلّمات الأخريات لم يسمعن،

وهمستُ «شكراً!»، مع ابتسامة على شفتيَّ، ثم أسرعتُ في وضع الأكواب على الطاولة.

قال تاكومي، ذو قصة الشعر على شكل وعاءٍ والجالس بجانب موكا، بكل فخر:

- أمي تفعل ذلك أيضاً! تذهب إلى المحل الذي يرسم على الأظافر!

مالت رورو الجالسة قبالتهما إلى الأمام لتحدق في يديّ، فكادت أطراف ضفائرها المحكمة أن تُغمَس في الحليب، فاضطررت لتحريك كوبها.

- هل ذهبتِ إلى المحل أيضاً؟

كانت قد أمسكتْ بأصابعي. لم يعد بإمكاني التهرب.

- لا، لقد قمت بذلك بنفسي في المنزل.

- هل يمكننا فعل ذلك بأنفسنا؟

- بالطبع، إنّه أمرٌ سهل!

أنهيت توزيع الأكواب وغادرتُ، وعلى وجهي ابتسامة مصطنعة.

عند المغادرة، اقتربت موكا منّي باستحياء، ثمّ همست لي:

- أريني يديك مجدداً غداً!

وعند رؤية يدَي موكا، والتي كانت تنظر إليّ بحرج، كدت أصرخ من هول المفاجأة. لكنني تمالكت نفسي في اللحظة الأخيرة.

- . . . حسناً.

مكتبة
t.me/soramnqraa

في اليومين التاليين، ذهبت إلى العمل دون إزالة طلاء أظافري.

*

- لنذهب إلى المكتب، همست لي ياسوكو بهدوء، بينما كنت أرتب القاعة بعد انتهاء دوام المدرسة.

كنّا في ما بعد ظهيرة يوم الجمعة. تبعتها، تحت نظرات بعض الزملاء المليئة بالفضول والقلق.

كانت ياسوكو معلمةً لديها خمس عشرة سنة من الخبرة، وهي المعلمة التي لا تضع أي مساحيق تجميل أبداً. لم تكن تشذب حتى حاجبيها. وجدتُ ذلك مؤسفاً، فمع ملامحها، كان القليل من مسحوق التجميل سيجعلها رائعة. لكن رأيي كان بالتأكيد آخر اهتماماتها. فلطالما كانت متسلّطة، ولا تكنّ لي كثيراً من الاحترام. دخلنا المكتب، فأغلقتْ الباب وأمرتني من دون مقدمات:

- أريني يديكِ.

أطعتها وقدّمتُ يدي اليمنى، فأمسكت أصابعي بعنف.

- ماذا دهاكِ لتضعي الطلاء على أظافرك؟ قالت ثم تركت يدي كما لو كانت شيئاً قذراً.

- لقد اشتكت والدة رورو سويجيما. فبسببك، لوّنت ابنتها أظافرها بالقلم الملون! لقد قلتِ للأطفال إنه يمكنهم فعل ذلك

بأنفسهم دون الذهاب إلى صالون التجميل. لماذا تشجعينهم هكذا؟

كنتُ قد قابلتُ والدة رورو قبل قليل. حييتها، لكنها أشاحت بوجهها. تذكرت شكلها من الخلف، وهي ترتدي قميصها المخطط المعتاد.

- أنا لم أشجـ. . .

- لا تبحثي عن الأعذار. الأمهات الأخريات رأين يديكِ أيضاً. سمعة المدرسة كلها على المحك، وليس سمعتكِ فقط!

كززتُ على أسناني. لم أستطع الردّ على توبيخٍ بهذه القسوة. وبما أنني التزمتُ الصمت، واصلت ياسوكو خطابها.

- لا بدّ أنّك ترغبين في التزيّن للعشاء مع حبيبك، لكن العمل هو العمل والحياة الخاصة هي الحياة الخاصة. لا ينبغي الخلط بين الاثنين!

أردت أن أقول لها إنها مخطئة، لكنني امتنعت عن ذلك. فياسوكو مقتنعة بأنها دائماً على حق. لم يكن هناك من فائدة في الدفاع عن نفسي وتبرير تصرّفي. كنت أبذل قصارى جهدي في عملي، لكنني لم أكن أعلم كيف أشرح لها أنني لم أزِل طلاء أظافري فحسب، كما أنني لم أكن متأكدة من أنني تصرّفتُ بشكل صحيح.

- أَزيليه.

- . . . حسناً.

نطقتُ الكلمة بصعوبة، وقبضتاي مشدودتان. كما لو كنت أحاول إخفاء أظافري الوردية.

*

في نفس المساء، وأنا أبلّل قطعةَ قطنٍ بمزيلِ الطلاء، فكرت في أختي ماكو. كنت معجبةً بها منذ طفولتي. كانت أكبر مني، وجميلة وذكية في آنٍ واحد. لقد علمتني كل شيء: كيف أربط شعري، وألفّ وشاحي، وحتى كيف أطلي أظافري.

في المدرسة الثانوية، غادرت ماكو للدراسة في سيدني. وفي الجامعة، تخصّصت في التدريس، والآن كانت تعطي دروس محادثة باللغة الإنجليزية. وقد شرحتْ لي أسباب عملها في هذا المعهد وليس في مدرسة تقليدية.

- أريد تدريس أشخاصٍ يرغبون بجدية في استئناف دراسة اللغة الإنجليزية ومستعدين لدفع ثمن ذلك. أريد تدريب أشخاصٍ متحمسين يرغبون في اكتساب المهارات بأنفسهم بدلاً من حضور درسٍ إلزاميّ للحصول على علامةٍ جيدة في الامتحان.

كان لها تأثيرٌ كبير في اختياري لمهنتي. أردت أن أُنادى «السيّدة المعلِّمة». لكن هذه كانت النقطة الوحيدة المشتركة بيننا، وأعتقد أنني سلكت هذا الطريق دون ميلٍ حقيقيٍّ. في أقصى تقدير، وجدت الأطفال لطيفين.

بعد إزالة طلاء أظافري، استلقيت على سريري وأمسكت بهاتفي.

فتحت موقع **كانفاس**، المسجل في قائمتي المفضّلة. هذه الصحيفة المجانية، المنشورة في سيدني للمقيمين اليابانيين، تقدم معلومات عن المطاعم والفعاليات وفرص العمل المحلية. خلال إقامتها هناك، أجرتْ صحيفةُ **كانفاس** مقابلةً مع ماكو التي تعرّفت على محرّرتها، وظلّت حتى يومنا هذا تساهم أحياناً في النسخة المطبوعة أو الموقع الإلكتروني.

كانت الصحيفة متوفّرة فقط في سيدني، لكن المقالات على شبكة الإنترنت كانت متاحة في اليابان أيضاً، لذا كنت أطّلع عليها بانتظام.

تصفحت الأقسام المختلفة عشوائياً. كانت أظافري العارية من الطلاء تقلّب الصفحات، وتوقّفتُ فجأة عند رؤية مقال «تجربتي مع تأشيرة عطلة العمل».

كنتُ قد سمعتُ عنها من قبل. إنّها تأشيرة إقامة لمدة عام تسمح بالدراسة والعمل والسفر بالطبع. لقد استقالت زميلةٌ في روضة الأطفال في التاسعة والعشرين من عمرها للاستفادة منها قبل الثلاثين بقليل. لأن هذه التأشيرة كانت تشترط حدّاً للسنّ. أمّا أنا، فكان لا يزال لديّ الوقت.

بحثت على الإنترنت عن «أستراليا تأشيرة عطلة العمل»، وقضيت وقتاً طويلاً ألتهم كل المواقع حول هذا الموضوع.

اكتشفتُ أنّ الحصول على التأشيرة ممكنٌ بين سن الثامنة

عشرة والثلاثين مقابل حوالي 40,000 ين. كان من الضروري أن تكون بصحة جيدة وبحوزتك حوالي 450,000 ين للعيش هناك، ثم يمكنك تقديم طلبك عبر الإنترنت مع جواز سفرك وبطاقة الائتمان. ولا يتضمّن الحصول على التأشيرة إجراء أي امتحان أو مقابلة وليست هناك حاجة للذهاب إلى السفارة الأسترالية. أذهلتني هذه الإجراءات المبسّطة جداً.

وقعت على صورٍ ليابانيين يتمشّون جنباً إلى جنب مع أستراليين، يمارسون معهم الغوص أو جز صوف الأغنام. يبدو أن أستراليا بلد آمن، حيث يوجد الكثير من محبي اليابان. كنت مقتنعة أن المتحدثين بالإنجليزية المستقلين، مثل ماكو، فقط يمكنهم العيش في الخارج، وقد تفاجأت بأن الأمر ليس معقداً إلى هذا الحد.

ولماذا لا أقوم بذلك أنا أيضاً؟

كنت أتقاضى أجراً زهيداً، تضايقني رئيستي في العمل وتنتقدني أمّهات الأطفال. أليس من الأفضل الرحيل بدلاً من هذه الحياة التي لا يحقّ لي فيها حتى طلاء أظافري؟ في أستراليا، سوف يمكنني فعل شيءٍ ما. لا أعرف ما هو بعد، لكن هناك وظيفة متاحة لي بالتأكيد. ما هو ممنوع عليّ هنا، سيُسمح لي بفعله هناك. ما زلت شابة، بصحة جيدة ولستُ خجولة جداً، لذا ربما أجد حبيباً أسترالياً. بمجرد وصولي، سأفكر في سبب للعيش هناك. سأتحدث الإنجليزية بطلاقة، وسأعود إلى اليابان ثم سأعمل في شركة أجنبية، نعم، لمَ لا؟

سيكون رائعاً أيضاً أن أصبح مترجمة أو وكيلة شراء محترفة. إذا بدأتُ الآن، سيكون ذلك ممكناً، أليس كذلك؟

وماذا لو استقلتُ من وظيفتي؟
وماذا لو غادرت إلى أستراليا؟

*

في منتصف شهر أكتوبر، أعلنت مديرةُ الروضة أن موكا ستغادر المدرسة.

بين عشيةٍ وضحاها، رُقّي والدها وظيفيّاً ونُقِل إلى منطقة أخرى، وتقرّر أن يكون الانتقال في الأسبوع التالي.

عند استلام ابنتها، توجهت لي والدةُ موكا. وهي التي كانت عادةً متحفظة وقليلة الكلام، تحدثت إليّ للمرة الأولى.

- إينا! شكراً لرعايتك موكا.
- أنتم ستنتقلون، أهذا صحيح؟
- نعم.

بعد وقفة قصيرة، فكرتُ خلالها أنه يجب عليّ استئناف الحديث، عادت هي للكلام وعلى شفتيها ابتسامة هادئة.

- أتعرفين، موكا لم تعد تقضم أظافرها. من قبل، كانت تقضمها حتى تنزف، وفي أسوأ اللحظات... لقد سبّب لي

ذلك الكثير من القلق. قرأت في كتابٍ عن تربية الأطفال أنه لا يجب توبيخها، وأن سبب ذلك هو افتقادها للحب. لم أفهم ذلك، فأنا أحبّها بشدّة. شعرت بذنبٍ كبير.

التزمتُ الصمت.

- قبل شهرٍ، أخبرتني، وهي سعيدة للغاية، أن لديكِ أظافر وردية جميلة وأنها تريد يدَين بنفس جمال يديكِ، فوعدتني بالتوقف عن قضم أظافرها. وهي الآن تقلّم أظافرها، فيما كانت مشوهة من قبل ولم يتسنَّ لها الوقت للنمو.

كان صوتها مرتعشاً. تأثّرتُ أنا أيضاً، وكدت أذرف دمعة. أوه، أي أخبار رائعة! لقد تحقّق أملي. كنت آمل أن إعجاب موكا بطلاء أظافري قد يجعلها تتوقف عن قضم أظافرها، بنفس الطريقة التي أُعجِبتُ بها بأختي.

- شكراً، قالت مع انحناءة عميقة من رأسها.

- لكن... أنا... موكا بدت مستاءةً لأنني أزلت طلاء أظافري بسرعة.

اعتدلت في وقفتها.

- لا، لقد وجدت أنّ أظافرك بدون طلاء أجمل.

- ماذا؟

- ألم تخبرك ياسوكو؟

لا، بالتأكيد لا. كنت مندهشةً حتى من ذكر اسمها في المحادثة.

- في الواقع، كان طلاء أظافرك محفزاً لابنتي. لكن بعد

إزالة الطلاء، قالت ياسوكو للأطفال إن يديك هي يدا امرأة نشطة. وإنه ستكون لديهم أظافر جميلة مثل أظافرك إذا ضحكوا وأكلوا جيداً، وبذلوا قصارى جهدهم بمرح. وعندما يكبرون، إذا أرادوا طلاءها، فسيكون ذلك رائعاً على أظافر سليمة.

. . . هل قالت ياسوكو ذلك حقاً؟

ذُهِلتُ لدرجة أنني لم أجد كلماتٍ أردّ بها. حدّقت والدةُ موكا في يديها.

- الأظافر هي مقياس الصحة. لم أنظر إلى يديّ منذ فترة. زوجي يعمل كثيراً لدرجة أنه غالباً ما يكون غائباً، لذا أعتني بابنتي وحدي. . . أدركت أنني متوترة. وبفضل هذا الانتقال الجديد، يُفترض أن نلتقي كأسرةٍ بشكلٍ أكثر انتظاماً. أريد أن أكون بصحة جيدة ومبتسمة حتى يكون لموكا ولي أظافر وردية جميلة يوماً ما.

كانت عيناها اللتان ضيّقهما الابتسام تشبهان عيني ابنتها.

- ماما! صاحت موكا بفرح وهي تندفع نحوها.

- دائماً ما تكون لحظات الوداع حزينة.

التفتُّ، وعند رؤية ياسوكو، قفزتُ وأطلقتُ صيحة خفيفة من هول المفاجأة. لم أكن قد رأيتها تأتي. قطّبتْ حاجبيها، وكأنها تأثرت من ردة فعلي حيث تصرّفتُ كما لو أنني صادفتُ ثعباناً على قارعة الطريق.

- لا تندهشي هكذا! كنت أنتظر هنا منذ فترة لألقي التحيّة عليهما، لكنهما لم تبدوا مستعدتين للرحيل.

أشاحت برأسها بارتباك ثم راقبت موكا وأمها تتّجهان نحو البوابة.

- أردتُ...، بادرتُ بالحديث، راغبةً في تبادل بعض الكلمات معها، لكنّها لم تدعني أُكمل.

- لم أكن أحاول التغطية عليك! لكن حسناً... أُدرك أنك تبذلين قصارى جهدك، قالت وهي تنظر إليّ أخيراً.

أربكني لطفها. ربما كانت تفهمني، في النهاية. هذه الفكرة وحدها أثارتني. ألقت عليّ نظرة خاطفة، وعندما رأتني متأثرة إلى هذه الدرجة، شدّدت من لهجتها:

- لو أنك قدّمتِ لي توضيحاً، لما وبّختك كما فعلتُ. كان ينبغي بك أن تعبّري بوضوحٍ بدلاً من الجلوس بتجهّم!

كانت تتحدث إليّ بصرامتها المعهودة لكني لم أشعر بالترهيب هذه المرّة. ليس لأن ياسوكو تغيّرت، بل لأن طريقتي في تلقّي كلامها كانت قد تحسّنت.

- لم أكن أعرف كيف أشرح لك تصرفي. كما أنني أفهم أيضاً غضب والدة رورو.

- ومع ذلك، أريدكِ أن تثقي بي. لقد عشتُ التجربة نفسها. حينما كنتُ في عمرك، وضعت بلسماً ملوّناً على شفتيّ. لم يكن أحمر شفاه، لكن عندما احتضنتُ صبياً صغيراً، بقّعتُ قميصه، فاعتبرت والدتُه تصرفي مشبوهاً.

- يا للهول. . .

- لا، كان هذا خطئي. لهذا لم أستخدم مسحوقاً للتجميل بعد ذلك. في المقابل، بعض الأمهات يؤكدن أنه يجب استخدام مساحيق التجميل للظهور بمظهرٍ مهنيّ ولائق. لكل شخصٍ رأيه في الموضوع. بلا أدنى شك، كان طلاء أظافركِ سبباً في توقّف موكا عن قضم أظافرها. لكننا لا نعرف مسبقاً إن كانت عواقبُ أفعالنا ستكون إيجابية وإن كان الآباء سيقبلونها. علينا تخمين ما هو جيد للأطفال حسب الموقف.

أومأتُ برأسي. هدأتُ على نحوٍ غريبٍ.

ينبغي مقاربة كلّ موقفٍ في لحظته. نحن نبحث باستمرار عمّا هو صحيح دون أن نعرف إن كان اختيارنا سيكون مناسباً، ونتعلّم من أخطائنا، ونبذلُ قصارى جهدنا. الأطفال يكبرون كلّ يوم. وأنا أيضاً سأكبر بالتأكيد أثناء قضائي الوقت مع كل واحد منهم.

- الأمر معقّد. حقاً. . . لكنني أعتقد أنني فهمتُ، أن هذا ما يجعل هذه المهنة مثيرة للاهتمام.

- لا تتذاكي! قالت ياسوكو بلهجة مشوبةٍ بالمزاح. اعلمي أنني لطالما كنت أهتم لأمرك وربما كنتُ صارمة أكثر من اللازم. فأنتِ تشبهينني كثيراً حين كنتُ في عمرك.

- ماذا؟!

تراجعتُ للخلف، في ردّة فعلٍ تلقائية.

- هل هذا يزعجكِ؟!
- لا، إطلاقاً!

ضحكنا. كانت هذه المرّة الأولى، ومع ذلك، كنت أنتظر منذ فترة طويلة لحظة التحدث معها بهذه الطريقة.

أوه، أعرف ما سأفعله، قلتُ لنفسي.

لن أستقيل الآن. سأتمسك بوظيفتي لبعض الوقت. لأن رغبة موكا في أن تكون لديها يدان جميلتان، وابتسامة والدتها المطمئنّة، والتقارب مع ياسوكو، جعلتني سعيدة. كان لا يزال لديّ الكثير من المهام لأنجزها في هذه المدرسة. وهذا هو سبب وجودي هنا.

وجنباً إلى جنب، ودّعت أنا وياسوكو العائلات العائدة إلى منازلها.

- إلى اللقاء في الغد! اعتنوا بأنفسكم!

عند البوابة، التفتتْ موكا نحونا ولوّحت لنا بيدها بحماس.

الفصل الرابع

طريق القديسة المستقيم

الأزرق • طوكيو

- هل تعرفين **شيئاً قديماً**؟ سألتني ريسا وهي تلمس حافة فنجان الشاي بإصبعها.

في الماضي، كنّا نحبّ التجول لاكتشاف المطاعم، وكنا نسمّي ذلك «نزهة الذوّاقين». لكن اليوم، تتبع ريسا حميةً غذائية إلى حين زفافها في الشهر المقبل. وبحسب قولها، لأن شهر ديسمبر كان خارج الموسم، فقد حصلت على خصمٍ جيدٍ على الأسعار.

رغم أننا لم نلتقِ منذ زمنٍ طويل، اقترحتْ عليّ شرب الشاي في بداية فترة ما بعد الظهيرة بدلاً من تناول الغداء أو قضاء المساء في إحدى الحانات. أخذتني إلى مقهى ماربل، الواقع على الضفة المقابلة لروضة الأطفال حيث أعمل. لم أكن أعرف هذا المكان المخفيّ وراء أشجار الكرز، لكنه كان مضيئاً ونظيفاً تماماً. كانت الجدران مزينة بلوحاتٍ تمثّل خدعاً بصرية رسمها فنانٌ اشتهر مؤخراً. كان النادل الشاب يعمل بكفاءة،

وبين الحين والآخر يلقي علينا نظرة ودّية، كما لو كان يتأكد من أنّ شيئاً لا ينقصنا.

أجبتُ وأنا أرتشف رشفة من القهوة بالحليب:

- نعم، أعرفها. إنّها أغنية **للإوزة الأم**(*)، أليس كذلك؟

- أوه، حقاً؟

بدت مندهشة، رغم أنّها هي من أثارت الموضوع.

«**شيءٌ قديم، شيءٌ جديد، شيءٌ مستعار، شيءٌ أزرق**». هذا التقليد، الذي بموجبه سيجد زوجان السعادة إذا ارتدت العروس هذه الأشياء في زفافها، يأتي من إحدى أغاني **الإوزة الأم**. وكانت تنتهي بعبارة: «**وقطعة من ستة بنسات فضية في حذائها**»، وهو جزءٌ غالباً ما يتم إغفاله.

- لا يفاجئني هذا من معلمة مثلك، يا ياسوكو! السيّدة المعلمة! مازحتني قائلة.

نظرتُ من خلال النافذة الزجاجية بصمتٍ.

كنا صديقتين مذ كنّا في المدرسة الثانوية.

كنا نتحدث عن كلّ شيء، ونتشارك الكثير من الأمور.

حتى عزوبيتنا كانت تجمعنا.

عندما كنا في الثلاثين من عمرنا، وأثناء قضاء سهرة عيد

(*) Mother Goose: شخصية لمجموعة من أشهر قصص وأغاني الأطفال - المترجم.

الميلاد معاً، اقترحت ريسا عليّ: «إذا بقينا عازبتين حتى الستين من عمرنا، علينا أن نسكن معاً!»، فأجبتها، ضاحكةً: «لا يروق لي ذلك، لكنني أعتقد أنه لن يكون لدي خيار آخر!». بالطبع، كان الأجدر بنا أن نجد زوجاً. كانت هذه مزحة متكررة بين النساء العازبات الشابات وكنا نعلم أنّ هذا لم يكن وعداً حقيقياً. لكن في الواقع، كان من شأن ذلك أن يسعدني. مرّت ست سنوات منذ ذلك الحين.

قبل عامين، في مطعمٍ إيطالي، أخبرتني ريسا أنها تعيشُ علاقة غرامية وأنها ترغب في الزواج. **يا للعنة**، قلت في سري. كنّا في الرابعة والثلاثين، أي الفئة العمرية الثانية التي يتزوج فيها الناس عادةً.

تذكّرت آنذاك أنّها، حينما كنّا في المدرسة الثانوية، اقترحت عليّ الجري معها في ماراثون، وهي رياضة كنا كلانا ضعيفتين فيها، لتتجاوزني فجأة في القطاع الأخير. لكني لم أكترث لهكذا تفاصيل وقتها، إذ كان هذا الماراثون حدثاً عابراً في حياتي. احتفظت فقط في ذاكرتي بدهشتي عندما أدركتُ أن ريسا هي من هذا النوع من الأشخاص.

حين خرجت كلمة «زواج» من فمها، تذكّرت شكلها من الخلف وهي تبتعد راكضة، لكنني تمكنت من أن أردّ عليها: «يا له من خبر سار!»، لأنه كلام إيجابي. كان عليّ أن أفرح من أجلها.

لكن عندما أضافت، مطأطئة الرأس: «إنّه يجري معاملات قضائية من أجل الطلاق»، تلاشت ابتسامتي المتكلّفة.

- لكنه لم يكن يعيش مع زوجته قبل أن نلتقي و...

- لا! قاطعتها. اتركيه! لن يُطلِّق، إنّه يتلاعب بك! ما الذي تفعلينه؟ لقد تجاوزتِ الثلاثين!

لكنها اكتفت بالقول:

- لا يمكنك أن تفهمي.

ذُهِلتُ لردّها. كنتُ أظنّ أنني أعرفُ كلّ شيءٍ عن ريسا. وأنها تفهمني بنفس القدر.

على الطاولة المجاورة، صرّت شوكةٌ في طبقٍ، وواصلت ريسا حديثها وهي تنظر في ذلك الاتجاه:

- أنتِ محظوظة. لقد درستِ للحصول على الوظيفة التي تحلمين بها وأنت تحبين عملك. معلمة روضة أطفال هي مهنة محترمة في المجتمع وكلما اكتسبت خبرةً، زادت الثقة بك. أما أنا، فأعمل في وظيفة مكتبية مؤقتة لا تتطلب أي موهبة أو مهارة خاصة وأعيش في قلقٍ دائم من أن يتم طردي.

كنت قد سمعت هذه التعليقات كثيراً. **محظوظة، لديك وظيفة أحلامك! تأكلين حتى الشبع. تكسبين رزقك باللعب مع الأطفال.** يا لها من مزحة! يا له من خطأ أن يظنوا أنني أتسلى بالغناء والعزف على البيانو فحسب، وأن عملي ينتهي عندما

يعود الأطفال إلى منازلهم! لا أحد يصدقني، لكنني أعمل أحياناً طوال الليل لإنهاء مهمة في الموعد المحدّد، كما أني أوظّف شباباً يستقيلون على الفور، وأضيّع وقتاً هائلاً في الرد على احتجاجات وطلبات الآباء الملحّة.

وحتى الآن، كانت ريسا الوحيدة التي يمكنني أن أشكو لها من هذا النوع من الانتقادات. لذا صُدمت عندما سمعتُها منها. رغم أنها حصلت على وظيفة العمل المؤقت هذه، مصدر عدم رضاها، بفضل علاقات عمّها. أمّا أنا، فقد درستُ، وبحثت عن عملٍ، وحصلتُ على هذه الوظيفة بجهودي الخاصّة. لذا أرفض أن يقال لي بهذه الخفة إنني محظوظة.

- المهارات، عليك أن تكتسبيها! صرختُ بحماسٍ ناتجٍ عن انزعاجي. عليكِ أن تدرسي وتجدي عملاً، أنت أيضاً. لكن الاحتماء بالزواج أسهل بكثير!

- ليس الأمر كذلك... أنا أحبه...

- إذا كان لا يزال يُجري معاملات الطلاق، فهو لا يزال متزوجاً. هذا يسمى خيانة زوجية. ألا تعتقدين أنه يستدرجك بهذا الزواج؟

كانت ريسا قد التزمتْ الصمت، لكنها ضحكت بحزنٍ بعدها وقالت:

- أنا أعتقدُ حقّاً أنّ لا يمكنكِ أن تفهمي.

- الأمر واضح، رددت دون أن أضيف كلمة أخرى.

لم أكن أفهم ولم أكن أريدُ أن أفهم. لأنها هي أيضاً لم تكن تفهمني. رغم أن حياتي لم تكن أفضل من حياتها.
ونتيجةً لذلك، قطعنا كلّ اتصالٍ بيننا.

بعد عامٍ من هذا الشجار في المطعم الإيطالي، أخبرتني ريسا في بطاقة تهنئة أن الطلاق قد تمّ. لم أصدّق ذلك بصراحة. كنت متأكدة أن علاقتها ستنتهي على نحوٍ سيئ. كانت نبرتها قاطعة بحيث لم أستطع الردّ عليها. علاوة على ذلك، بدا لي من غير اللائق أن أفرح بخبر طلاقٍ، حتى لو كنتُ أودُّ معرفة التفاصيل.
في أوائل أكتوبر، اتّصلت بي لتخبرني عن زواجها، ومنذ ذلك الحين، تصالحنا نوعاً ما. تلقيتُ دعوةً لحضور حفل الزفاف، وأجبت بالموافقة، ثم تلقيت بريداً إلكترونياً منها. وأخيراً، التيقنا اليوم حول مشروبٍ ساخنٍ.
من خلال النافذة النظيفة للمقهى، تأمّلتُ أوراق الشجر المتساقطة وهي تتطاير في الهواء.

*

- لديّ ثلاثة من الأشياء الأربعة التي ينبغي ارتداؤها. شيءٌ قديم، وهو قلادة اللؤلؤ الخاصة بأمي، شيءٌ جديد، وهو منديل من الدانتيل، شيءٌ مستعار، وهو القفازتان الطويلتان

اللتان ارتدتهما أختي في زفافها. ينقصني شيءٌ أزرق.

شيءٌ أزرق... في الواقع، من الصعب تخيل أكسسوار أزرق على فستان أبيض. مالت ريسا نحوي بخجل وهمست:

- قد يكون من الأفضل وضعه في مكانٍ غير ظاهر. في الخارج، الاتجاه السائد هو تزيين حمالة الجوارب بعقدة زرقاء.

- حمالة الجوارب؟

- نعم. لكنني لم أرَ واحدة حقيقية من قبل.

احمرّت وجنتاها. مع أنه لم يكن شيئاً فاحشاً، إلا أن هذا الجانب البريء يشبهها تماماً.

- لماذا لا تجرّبين إذاً؟ قلتُ، ضاحكةً.

عبّرت ريسا عن عدم موافقتها بإشارة كبيرة من يدها.

- أوه، لا! كما أني لا أحبّ اللون الأزرق. إنّه لونٌ بارد.

- أحقاً؟ أنا أحبّه. إنه يرمز إلى الأخلاق والوفاء.

- هذا يشبهك تماماً، يا ياسوكو.

تنهّدتْ. ومن الصمت المحرج الذي ساد بيننا، فهمت أننا كنّا كلتانا نفكر في شجارنا الماضي. ولبرهة قصيرة، صمتنا دون أن تنظر إحدانا إلى الأخرى.

ولكي أشغل نفسي بشيء، شربت قهوتي بالحليب دفعةً واحدة وكوبي من الماء أيضاً.

استأنفتْ ريسا المحادثة.

رفعت فنجان الشاي الأسود ببطءٍ إلى شفتيها، ثم قالت بهدوء:

- هل تتذكرين عندما قلت لكِ: «لا يمكنكِ أن تفهمي؟».

- نعم.

- آسفة لأنني تحدثت إليكِ بهذه الطريقة السيّئة. فلطالما ندمت على ذلك.

- . . . لا تبالي.

- ياسوكو، أراكِ رائعة منذ أن عرفتكِ. منذ المدرسة الثانوية، كنتِ تعرفين بالضبط أي مهنة تريدين وسلكتِ الطريق الذي اخترتِه على نحوٍ مستقيم. أما أنا، فلم أكفّ عن التيه، وعن سلوك الطرق الجانبية، والتوقف في منتصف الطريق. . . لم تكن لديّ أي رغبة تحمّسني. لست ذكية جداً، لذا أجد صعوبة في التعبير عن كل ذلك، لكننا لا نقرّر مستقبلنا. أن نرغب في فعل هذا، أو امتلاك ذاك، أو أن نصبح ذلك، كل هذا. . . مسألة قدر.

فوجئتُ بكلامها. كانت هذه المرةَ الأولى التي تتحدث فيها على هذا النحو وبهذه النبرة الحاسمة. نظر إلينا الزبون الذي كان يقرأ الصحيفة الرياضية عند المنضدة. لقد تحدّثتْ ريسا بحماسٍ شديدٍ بحيث خشيت أن يُطلَبَ منّا التزام الهدوء.

- لكن أتعرفين. . . حين قابلت هذا الرجل، أردته من كل

قلبي. ربما كان ذلك غير أخلاقي، لكنني أردت الزواج منه بأي ثمن. هو ولا أحد غيره.

لمعت عيناها، كما لو أن هذه القصة عن القدر قد استحوذت عليها. أما أنا، فلم أفهم شيئاً. ألم نكن نتحكّم برغباتنا الخاصة؟

- لكن الرغبة شيء مدهش، لأن رغبةً تجلبُ أخرى. ففيما كنتُ أتمنى أن أصبح زوجته فحسب، الآن وقد تحققت أمنيتي...

بعد تردّد وجيزٍ، قالت بصوتٍ منخفض، لكن بحزمٍ:

- أريد أن أصبح أمّاً... أعلم أنني أطلب الكثير، أردفت وهي تهز كتفيها، لم أكن أعلم أنني بهذا الجشع، وهو أمر يخيفني قليلاً.

كنتُ أبحث عن الكلمات المناسبة، عندما رجّ هاتفٌ من حولنا.

وضعت ريسا يدها على حقيبتها.

- إنه هيرويوكي. عذراً.

نهضت وغادرت المقهى مع هاتفها المحمول، وفوجئتُ قليلاً لأنها تركتني على هذا النحو. لا بدّ أن هيرويوكي خطيبها.

لطالما كانت ريسا هكذا. تبدو وكأنها تواجه المشاكل،

لكنها تتجاوزها في كلّ مرة في النهاية. كانت شخصيتانا متناقضتين تماماً. لماذا أصبحنا صديقتين؟ هل كنا صديقتين مقربتين حقاً؟ ولماذا كنا نتفاهم جيداً أصلاً؟ لماذا كنا دائماً معاً؟ ما الذي كنتُ أحبّه فيها؟

لو كنتُ في الموقف نفسه، ما كنت لأترك صديقتي لأردّ على مكالمة.

- لا نترك الناس هكذا، بحق السماء...، همستُ لنفسي.

- أنا... أنا آسف.

سمعتُ هذا الصوت خلفي، فاستدرتُ ورأيتُ النادل، واقفاً وفي يده إبريق. لقد جاء ليملأ كوبينا بالماء.

- أوه! لا، لم أكن أتحدث إليك...

انحنى وصب الماء في كوبٍ. كانت ابتسامته صافية، كما لو أنه خرج من حمّامه للتو. كان لا يزال شاباً، في نفس عمر إينا على الأرجح، وهي زميلة في فريقنا للسنة الثانية على التوالي. كان مهذباً واستطعتُ أن أميّز فيه كياسة الجيل القديم.

- كنت أتحدّثُ إلى صديقتي الجالسة هنا، قبل أن تخرج للردّ على مكالمة. أزعجني تصرّفها، قلتُ له، مبرّرة.

أمال النادل الإبريق مجدداً، دون أن تفارق الابتسامة وجهه.

- من وجهة نظري، الخروج من المقهى تفادياً لإزعاج الآخرين هو دليل على حسن التربية.

بوغتُّ بكلامه. فما اعتبرته شاذاً، كان طبيعياً من منظورٍ آخر.

- لقد حاولت طوال حياتي أن أسلك الطريق الأكثر استقامة، وأن أقوم بما يتوقعه مني المحيطون بي... لكن لا بدّ أنني أخطأت في مكانٍ ما.

- همم... أعتقد أن ما يهمّ ليس سلوك طريقٍ مستقيم، بل السير باستقامةٍ قدر الإمكان على طريقٍ متعرّج.

عند هذه الكلمات، تذكّرتُ الماراثون. لقد انطلقتْ ريسا بأقصى سرعة عند منعطف بالقرب من خط النهاية، حيث كان معلّم الرياضيات واقفاً على جانب الطريق. كان شخصاً سطحياً ومستبداً، يعامل الطلاب بغطرسة. وقد قال لريسا ذات يوم، حين رآنا نقضي الاستراحة معاً:

- هيه، أنتِ! غباؤك سيؤثر على ياسوكو، اتركيها وشأنها!

ضحكتْ ضحكة خفيفة، لكن منذ تلك اللحظة، راحت تتجنّبني في حضوره. لم أُولِ أهمية لكلام هذا المعلّم، لأنني كنت أحتقر هذا الأحمق الذي لا يفهم شيئاً. لكن لا بدّ أن كلامه جرح ريسا بشدة، ما يفسّر ركضها بأقصى سرعة عند رؤيتها له. لم أدرك ذلك حتى هذه اللحظة. فأنا مَن كنتُ الغبية.

- من الصعب أن نضع أنفسنا مكان شخصٍ آخر...

- نعم، لكن حتى لو لم ننجح في ذلك، يعرف هذا الشخص على الأرجح أننا نفكر فيه. كما أنه من الممتع تخيّل أفكاره!

ضحك النادل برقّة، وبدا شارد الذهن.

كان من السهل فهمه وقراءة أفكاره. كان هذا النوع من الصدق موجوداً حقاً. ابتسمتُ وشربتُ كوب الماء.

- آمل أن تسير الأمور على ما يرام مع الشخص المعني! قلتُ له.

فاحمرّ وجهه خجلاً.

عادت ريسا.

- أنا آسفة. في الواقع، لقد سقطت جدة هيرويوكي هذا الصباح وتآذت. اشتبه الأطباء في وجودِ كسرٍ، لكن الفحوصات في المستشفى كشفت عن كدمة فحسب، يفترض أن تزول بعد يومين من الراحة. إنها تعيش وحدها لذا قلقنا بشأنها... لكن كل شيء على ما يرام...

آه. كانت مكالمة لا يمكنها تجاهلها إذاً.

- ريسا، هل أنت متأكدة من أنك لا تريدين زيارتها في المستشفى؟

- نعم. أصرّ هيرويوكي على أن آتي إلى موعدنا لأنه يعرف كم هذا مهم بالنسبة إليّ. كنت أرغب في رؤيتك بشدة، يا ياسوكو.

شعرت ريسا بالارتياح حيال ما باحت لي به، فضحكتْ ببراءة. أذهلتني قدرتها على التعبير بهذه العفوية.

في المدرسة، كانوا يكرهونني. قد يكون تعبيراً قاسياً، لكن دعونا نقول إن الآخرين كانوا يتجنبونني بسبب احترام مزعومٍ أو خوفٍ ما. وبسبب ذلك، كنت دائماً ما أُعيَّن مندوبةً للفصل. لم أكن حتى أرشح نفسي، بل كان معلّمنا يعينني تلقائياً. وبما أنني كنت أُعيَّن، كنت أنفِّذ التعليمات فيبتعدُ الآخرون عنّي أكثر. لم أكن أرى أي ضرر في توبيخ الأولاد الذين يرفضون المشاركة في أعمال التنظيف أو الفتيات اللواتي يثرثرن في الصف.

حتى في تجاربي العاطفية النادرة، كان الرجال يهجرونني بحجة أنني كنت أخنقهم أو أنهم لا يتحمّلون أن أفرض عليهم طريقة تفكيري.

وحدها ريسا كانت مختلفة.

كانت بطيئة الفهم قليلاً، انطوائية وسريعة البكاء. لكن رغم ذلك، ودون أن تتجنبني أو تخشاني، فتحت لي قلبها بلامبالاة، مكررةً اسمي باستمرار. «معك يا ياسوكو، أشعر بالراحة. معك يا ياسوكو، يمكنني التحدّث عن كلّ شيء. لأنكِ، يا ياسوكو، لا تستغيبين الناس. أنتِ لستِ كاذبة».

كان الأطفال يحبونني للسبب نفسه. حتى أولئك الذين لا تؤثر فيهم مواساة الكبار المفرطة وترديدهم لهم كم هم لطفاء،

كانوا يأتون إليّ على نحوٍ غريبٍ. لذلك أردت العمل معهم. أردت أن أعلّمهم ما اعتبرته الطريق المستقيم، لأنني كنتُ متعبةً من كوني محاطةً بالكبار الذين يحيدون عنه.

- ريسا، أنا آسفة، هل يمكنكِ انتظاري خمس عشرة دقيقة؟ لا، عشر دقائق؟

اندفعتُ خارج مقهى ماربل. كنت قد فكّرتُ للتو في متجر الملابس الداخلية على الجانب الآخر من الجسر، باتجاه المحطة، في مبنى يضم متاجر مختلفة. ركضتُ إليه بأسرع ما استطعت.

أنا ما كنت لأقع في حب رجلٍ متزوج.

أنا ما كنت لأخجل من ارتداء حمالة جوارب.

أنا ما كنت لأسعى لجمع شيء قديم، وشيء جديد، وشيء مستعار، وشيء أزرق.

نعم، ولكن...

ماذا عن ريسا؟ ماذا لو وضعتُ نفسي مكانها؟

عند وصولي إلى المبنى، دخلتُ المتجر الواقع في الطابق السفلي.

كانت البائعة ذات الشعر المجعّد وحيدة في هذا المتجر الصغير ذي الإضاءة الخافتة. بحثتُ ليس عن حمّالة جوارب،

بل عن سراويل داخلية. للوهلة الأولى، كان هناك نموذجٌ واحد فقط من كل قطعة ملابس داخلية.

أزرق بحري. أزرق سماوي. كانا جميلين، لكنهما ليسا ما كنت أبحث عنه.

وجدت أزرقَ عادياً، لكن بنقاطٍ أو مغطى بالدانتيل... لم يكن هذا مناسباً أيضاً.

ثم، في واجهةِ عرضٍ قريبة من صندوق المحاسبة، لمحتُ سروالاً داخليّاً من الساتان.

- هل يمكنكِ أن تُريني هذا، من فضلكِ؟

ابتسمت البائعة وأخرجت السروال الداخلي من واجهة العرض.

- إنّه من الحرير، وناعم الملمس.

أزرق ملكي رائع، ذو تصميم بسيط وأنيق. كان مثالياً.

- نعم... هل يمكنني أن أطلبَ منكِ تغليفه كهدية؟ إنّه لصديقةٍ عزيزة عليّ.

- حسناً. اختيارُك يسعدني. إنّه أجمل إنجازاتي، قالت وهي تغلّفه بعناية وكأنه قطعة ثمينة.

عندما انتهتْ من تغليفه، وضعتْه في كيسٍ ورقيٍّ يحمل شعار المتجر وسلمته لي.

- تفضلي. إنه لونٌ مستوحى من القداسة. ألم يكن ثوب الأم تيريزا يحتوي على خطوطٍ زرقاء؟ إنها مسألة رمزية.

كان هذا مناسباً تماماً. أمسكتُ الكيس بابتسامةٍ مهذّبة.

أترين، يا ريسا، الأزرق ليس لوناً بارداً!

هرعتُ إلى المقهى ووجدتُ ريسا تنظر من النافذة بشرودٍ. عدت لأجلس قبالتها مجدداً، وأنا ألهث بشدة.

- تفضّلي، هذا شيءٌ أزرق وغير ظاهر. إنّه سروالٌ داخليٌّ، أقدّمه لكِ هديّة. في حال كانت حمّالة الجوارب تزعجك، فالملابس الداخلية ستكون مناسبة، أليس كذلك؟

- ماذا؟ هل ذهبتِ لشراءِ سروالٍ داخليٍّ لي؟ الآن؟

- نعم. هل يمثّل هذا مشكلةً بالنسبة لكِ؟

آه... لماذا كنتُ أتحدّث دائماً بهذه النبرة المتغطرسة؟ كنت محرجة فحسب. لكن ريسا أمسكت الكيس وهي تضحك بصوتٍ منخفض. لطالما هدأتني هذه البهجة وخففت عني.

- أنت نادراً ما تتصرّفين بهذه العفوية!

رغم أنني كشفتُ لها عن محتوى الكيس، إلا أنها فتحتْه، غير مبالية بنظرات الآخرين. وحالما رأتْ السروال الداخليّ الأزرق، صاحت: «واو!» وأمسكتْه بيديها.

- إنّه رائع... شكراً لكِ. بفضلك، لديّ كلّ شيء الآن.

لا تفتحيه هنا! قلتُ في سري، لكن ابتسامة ريسا المبتهجة شجعتني على التطرق إلى موضوع آخر.

- أتعلمين، إن العمل مع الأطفال أمرٌ صعبٌ.

رفعت رأسها نحوي، وواصلتُ حديثي.

- إنهم صعبون، ولطفاء، ومضحكون، وهشّون، وأقوياء، وفيما لا يمكننا تركهم أو التوقف عن مراقبتهم، هم يكبرون فجأة ويفهمون الأمور على نحوٍ أفضل مما نتخيّل. إنّهم كائنات مذهلة حقاً.

استمعتْ إليّ بسكون، فنظرتُ في عينيها مباشرة.

- أنتِ محقّة في أن تكوني راغبةً بإنجابِ طفلٍ، لكن يجب أن تكوني مستعدةً لذلك! ليس من الخطأ أن تكون لديكِ رغبات كثيرة. فما المشكلة في أن ترغبي أن تكوني أمّاً؟ كوني امرأة مفعمة بالرغبات، أحبّا بعضكما بقوة أنتِ وهيرويوكي، واحملي طفلاً في بطنك وأنت ترتدين هذا السروال الداخلي!

خفضت رأسها وهي تمسكُ السروال الداخلي. زمّت شفتيها وعيناها جاحظتان، كما لو أنها غاضبة. كنتُ أعرف هذه التعابير جيداً. كانت ريسا تمنع نفسها من البكاء.

- ريسا.

رفعتْ رأسها عند سماع اسمها.

- تهانيّ!

وعند هذه الكلمة التي نُطِقَتْ أخيراً، تشنّج وجهها، ثم انفجرتْ باكية.

*

بعد أسبوعٍ من حفل الزفاف، تلقيّتُ بطاقة بريدية منها خلال قضائها شهر العسل في سيدني.

«أستمتع كثيراً هنا، والطقس رائع. السماء جميلة تماماً كما في الصورة!».

كانت على الوجه الآخر من البطاقة سماء زرقاء شاسعة. هذا الأزرق الرائع، علّقتُه على الحائط كي لا أفترق عنه أبداً.

الفصل الخامس

لقاءٌ عرضيٌّ

الأحمر ● سيدني

«إذا أضعنا طريقنا، فلنلتقِ أمام حظيرة الزرافات!».

بعد أن اتّفقنا، بدأنا جولتنا، لكنني سرعان ما فقدت هيرويوكي. كنت أراقب الزرافات منذ خمس عشرة دقيقة.

كانت حديقة حيوان تارونغا أكبر حديقة حيوان في أستراليا. لم أكن أتصوّر ما تعنيه مساحة واحد وعشرين هكتاراً، لكنها كانت كبيرة جداً بحيث لم أرغب في البحث عن هيرويوكي. فوفقاً لدليل السفر، ضمّت هذه الحديقة أكثر من ثلاثمائة وأربعين نوعاً من الحيوانات. وكانت الزرافات في المحطة الرابعة بعد المدخل فقط. وبما أنّ جولة كاملة في الحديقة تستغرق يوماً كاملاً، فإن هذا الوقت الضائع سيمنعنا من رؤية بعض الحيوانات. بالإضافة إلى ذلك، كانت حيوانات الكوالا نائمة ولم أكن قد رأيتُ بعد الكنغر ولا طيور الإيمو.

في شهر ديسمبر، كان الصيف في سيدني جافّاً، على

عكس حرارة طوكيو الرطبة، وأشعّة الشمس قوية. أنزلتُ قبعتي على عيني، وشربتُ من زجاجة مياه غازية.

كانت حديقة الحيوان تقع بالقرب من البحر. في ذلك الصباح، عبرنا بالعبّارة من ميناء الرصيف الدائري. خلف حظيرة الزرافات، امتد خليج سيدني نحو الأفق المفتوح، وارتفعت خلفه ناطحات السحاب التي لا تُعدُّ ولا تُحصى. الزرافات، البحر، ناطحات السحاب. أيّ مشهد استثنائيّ.

في مساء اليوم السابق، في مطعمٍ ياباني، كنتُ قد حصلتُ على جريدة مجانية تسمى **كانفاس**. بدت وكأنها موجّهة لليابانيين المقيمين في سيدني أكثر من السيّاح. وجدت لنفسي ركناً مظللاً وفتحتها.

كانت الصحيفة قد أصدرت عدداً خاصاً عن عيد الميلاد الذي كان يصادف الأسبوع التالي.

«هل يركب بابا نويل الأسترالي الأمواج للوصول إلينا؟» .

كان هناك رسمٌ لبابا نويل على لوح ركوب الأمواج يرتدي ملابس سباحة حمراء ونظارات شمسية. أضحكني بابا نويل الصيفي هذا، المرح بعض الشيء.

بدا لي الأمر معقّداً. عادةً، كانت حيوانات الرنّة تجرّ المزلجة المحمّلة بالهدايا التي يجلس عليها بابا نويل، في حين أنه يجب أن يكون المرء رياضياً إلى حدٍّ ما للوقوف على لوح ركوب الأمواج والحرص على عدم إسقاط الطرود في الماء. كما وجدتُ أنّ عبور البحر منفرداً أمرٌ محبط.

لو كنتُ بابا نويل المرسل إلى أستراليا، لما استطعت فعل شيء. فأنا لا أُجيد ركوب الأمواج. وبينما كانت هذه الأفكار تدور في رأسي، بحثتُ عن هيرويوكي بنظري.

كان رجلاً طيباً ورئيسَ قسمٍ في الشركة الثالثة التي عملت فيها بعد تسجيلي في وكالةٍ للتوظيف المؤقّت. كان حسن الخلق، لا يتذمّر من الأعمال المنزلية وكريماً لا يحسب حساباً للنقود. وإذا فشلتُ في شيء، لا يلومني أبداً. كما أعجبني أنّه لم يكن يخاطب الموظفين في المطاعم بازدراء أبداً. حين فكّرنا في وجهة شهر العسل، اقترحت سيدني، فأجابني: «فكرة جيدة، سأجري بعض البحوث»، دون أن يردّ «لا يهمّ» أو «ليس سيدني». وقد درس الموضوع بالفعل واختار عدة وكالات سفر ورحلات منظّمة. كان رجلاً يفي بوعده.

تزوجنا في الصباح، وبعد الحفل مباشرة، ركبنا الطائرة. لقد مرّ يومان على وجودنا في سيدني، ولم يمضِ على كوني زوجة هيرويوكي سوى ثلاثة أيام. زوجته. كنتُ زوجة هيرويوكي. هذه الفكرة أراحتني بعمق كما أقلقتني بعمق في آنٍ واحدٍ، وهي تنهشني من الداخل.

بعد أن طويتُ الجريدة، وضعتها في حقيبتي، ثم نظرت إلى ساعتي. مرّت عشرون دقيقة ولم يكن هيرويوكي قد ظهر بعد.

أمالت زرافةٌ عنقها بقوة. عنقٌ طويلٌ كهذا لا يبدو عملياً جداً. عندما تُصاب الزرافات بالزكام وتعاني من ألمٍ في الحلق، من أين إلى أين يمتدُّ الألم؟ بدت كأنها تضع رموشاً مستعارة تخفق مع كل رمشة عين. بقيتْ اثنتان منها بالقرب مني ودون ثرثرة - بطبيعة الحال - أو النظر إحداهما إلى الأخرى، التهمتا الأوراق أو نظرتا بعيداً نحو ناطحات السحاب.

- أوه، يا لها من رشاقة!

استدرتُ لأرى مصدر هذا الصوت ووجدت نفسي أمام سيّدةٍ عجوزٍ قصيرة القامة، يرافقها رجلٌ مسنٌّ مبتسمٌ، قصيرُ القامة مثلها.

بالطبع، لم أكن أنا الرشيقة، بل الزرافات.

- لون فرائها المنقّط رائع، لكن ذيولها جميلة أيضاً.

- تبدو وكأنّها ترتدي تاجاً!

كانت محادثتهما مؤثرة. كنا قد التقينا بهما في صالة مطار ناريتا. عند رؤية بطاقة الأمتعة التي وضعتها وكالة السفر على حقائبهما، خمّنتُ أنهما سيشاركان في نفس الرحلة المنظّمة معنا. بدا هذان الزوجان سعيدين. السيدة، التي لا بُدّ أنّها لاحظت نظرتي الحاسدة، سألتني مبتسمة:

- مرحباً. كنّا على نفس الرحلة، أليس كذلك؟

- نعم.

- وماذا عن الرجل الذي كان معك؟

- لا أعرف أين هو.

شعرتُ بعدم ارتياحٍ، فخفضتُ رأسي.

- حقّاً؟! هل أنتما حديثا الزواج؟

- نعم، تزوجنا قبل ثلاثة أيام فقط.

- أوه! صاحا معاً وهما يضحكان.

لم يكونا متماثلين في قصر القامة فحسب، بل كان لهما نفس شكل الوجه. بديا مثل حبتَي فول سوداني متناغمتين في قشرتهما.

- من الصعب العثور على شخصٍ ما في حديقة حيوان بهذا الحجم!

- لستُ قلقة. لقد اتفقنا على أن نلتقي أمام حظيرة الزرافات في حال فقدنا أثر بعضنا، لذا لا بدّ أن يأتي، قلت لها ثمّ أردفتُ، ضاحكةً، وأنا أسخرُ من نفسي:

- هو كثيراً ما يختفي.

نعم. كان هيرويوكي رجلاً طيباً، لكن كانت تصرّفاته تحيرني أحياناً. في معظم الأوقات، كان لطيفاً، لكنّه كان يتركني أحياناً دون سابق إنذار، تاركاً إياي في ذهولي، فأُصابُ بالذعر. ربما لم يكن يحبّني كثيراً، في الواقع.

بذلتُ جهداً لكي لا أفكّر كثيراً في هذه الأمور، لكن طلاقه أيقظ مخاوفي. عندما التقينا، لم يكن يعيش مع زوجته السابقة، فأقنعت نفسي أنني لم أسرقه منها.

رغبتُ بالزواج منه بشدّة. كانت هذه المرّةَ الأولى التي أشعر فيها بمشاعر قوية كهذه. وحين تحقّق حلمي أخيراً، عدتُ أتساءل عن سبب فشل زواجه السابق. حثني حدسي على عدم التعمق في الأمر، فعلى مستوى ما، لم أكن أرغب في معرفة شيء عن الموضوع. لم يكن الأمر يخصني.

لكن لا بُدّ أنّهما، هو وزوجته، أحبّا أحدهما الآخر في بداية علاقتهما حتى قرّرا الزواج. لا بدّ أنّهما تعاهدا على حبٍّ أبديٍّ في ذلك اليوم. إذا كان الناس يتزوجون لأن الخيط الأحمر للقدر يربط بينهما، فلماذا حالات الطلاق شائعة إلى هذا الحد؟ لا شيء يضمن أننا سننجو منه نحن أيضاً.

وصل عدة تلاميذ، من سيدني على الأرجح، وهم يصرخون، وغادروا بنفس السرعة وهم يطلقون صيحات بالإنجليزية لم أفهمها. ورغم ضجيجهم، إلا أنّ المكان كان شاسعاً جداً بحيث أن صخبهم لم يزعجني.

كانت ممرّات الحديقة معبّدة، لكن الحيوانات، وهي محاطة بالأشجار والزهور، بدت وكأنّها تعيش براحةٍ كبيرة في الطبيعة. بدت كما لو أنّها في غابةٍ صغيرة.

- حتى لو اختفى، هو يعود دائماً، أليس كذلك؟ سألتني السيّدة.

رفعتُ رأسي.

- نعم. لكن يُقلقني أن يحدث ذلك في سيدني.

- أتفهّم شعورك. ربّما وجوده هنا يحفّزه، فالزيارة ممتعة واستثنائية، تجعل المرء يرغب في الذهاب يميناً ويساراً!

ضحكتْ ضحكةً خفيفة. أشعرتني نظرتُها الحنونة بالاطمئنان.

- منذ كم سنة أنتما متزوجان؟

- منذ خمسين سنة. ابنتنا الوحيدة أهدتنا هذه الرحلة احتفالاً بهذه المناسبة. قبل سنتين، أعتقد، بي... أوه، بي هو لقب ابنتنا... حضرت بي زفاف صديقة طفولتها في سيدني وأحبّت هذه المدينة كثيراً.

ابتسمتْ، فارتفعت شفتا زوجها بزاوية مماثلة. قلت عندها: «ابنتكما تعتني بوالديها جيداً!»، فراحت السيّدة تشرح لي مطولاً:

- إنّها تديرُ متجراً للملابس الداخلية في طوكيو. هي تحبّ الخياطة ولطالما كانت أناملها بارعة. كانت تصنع الفساتين من قبل، من بين أشياء أخرى، لكنها أصبحت شغوفة بالملابس الداخلية، وها هي اليوم تصمّمها بنفسها وتبيع قطعاً فريدة. إنها تصنع حمالات الصدر والسراويل الداخلية. يمكنك زيارة متجرتها إذا رغبت في ذلك!

- حسناً! وعدتُها وأنا أومئ برأسي.

كان من المدهشِ أن يكون كائنٌ بشريٌّ قد خرج من امرأة صغيرة الحجم جدّاً كهذه. لقد خطت الطفلة خطواتها الأولى، وكَبُرَت الفتاة الصغيرة لتصبح امرأة بالغة تدير متجراً وتهدي والديها رحلةً إلى سيدني. ولو لم يتزوج هذان الاثنان، لما خُلِقَت أبداً.

مدهش. إن مجيءَ البشر إلى العالم أمرٌ مدهشٌ حقاً.

حين أخبرت صديقتي ياسوكو، المعلِّمة في روضة الأطفال، أنني أرغب في إنجاب طفلٍ، أجابتني: «أنتِ محقّة في رغبتكِ، لكن يجب أن تكوني مستعدة لذلك!». لم أرغب أبداً في أن أكون أمّاً إلى أن التقيتُ هيرويوكي. فلطالما اعتبرتُ نفسي غير قادرة على إنجاب طفلٍ وتربيته. لكنني تزوجته وبدأت أفكّر في الأمر. أردتُ أن أتعرّف إلى طفله.

قبل ذلك، لم تكن تراودني أي رغبات قويّة. مشاعر الحب والرغبة تنبثق من مكانٍ بعيد، دون أن يتسنى لنا السيطرة عليها، وكانت هذه هبةً لم تُمنح لي. لذلك ذُهلت من وقوعي في حب هيرويوكي، الرجل المتزوج، إلى هذا الحد، ومن رغبتي في إنجاب طفلٍ منه. والسبب الوحيد الذي يفسّر هذه الرغبة هو أنّه توأم روحي. فلولاه، ماذا كنت لأفعل بنفسي؟ هذا القلق الدفين، لم يكن بإمكاني البوح به لأحد.

- أن تنسجما معاً إلى هذا الحد لمدة خمسين عاماً هو علامة على أن الخيط الأحمر للقدر يربط بينكما! قلتُ بإعجابٍ.

تصلّب وجه السيدة عند سماع هذه الكلمات.

- الخيط الأحمر؟

- للقدر؟ أكمل زوجها.

تبادلا النظرات، ثم انفجرا ضاحكين.

- لا أصدّق أنّ هناك فتاة رومانسية ما زالت تؤمن بهذه الأمور! قال الرجل، متعجّباً.

نبرته الدافئة وتعبير وجهه الدالّ على الإعجاب أشارا إلى أنّه لم يكن يسخر مني. لوحّت زوجته بيدها بارتباك.

- لا، لم نكن منسجمين تماماً طوال كل هذه السنين! لقد مررنا بالكثير من المحن. وفي الأخير، ها قد مرّ نصفُ قرنٍ.

- هل رغبتما في الطلاق يوماً؟

- بالطبع! مرات عديدة! ومن يدري ما يخبئه لنا المستقبل!

صعُب عليّ تصديق ذلك. هل هذا ما ينتظرنا نحن أيضاً؟

- هل الحب الأبديّ صعب المنال إلى هذا الحدّ؟

خشيتُ أن يصرخا مجدداً «الحب؟» «الأبديّ؟»، لكن لم يضحك أيٌّ منهما هذه المرّة.

- نعم، إنّه صعبُ المنال جداً، لكنه بسيطٌ جداً أيضاً، لأنّ الحب لا يأتي بقرارٍ منّا. الحب أمرٌ لا يمكن التنبؤ به.

استدارت السيدة نحو الحظيرة حيث قرّبت أطول الزرافات رأسها من رأس زرافة أخرى.

- لا بدّ أنّ هذا هو السبب الذي يجعل البشر يرغبون في التعاقد في زواجهم.

أمّا الحيوانات، فلا تَعِدُ بشيءٍ. اصطدم عنقا الزرافتين برفقٍ وبدأتا تنظفان إحداهما رقبةَ الأخرى.

*

- ريسا!

ناداني أحدهم فجأة. كان هيرويوكي قد وقف خلفي دون أن ألاحظ.

- أنا آسفٌ، كنت مأخوذاً جداً بما كنتُ أشاهد. لقد رأيتُ خِلدان الماء! هذه الحيوانات لا تُظهِر نفسها بسهولة، لكنني كنت محظوظاً، فقد وصلتُ في اللحظة التي كانت تسبح. يجب أن نعود معاً!

احمرت وجنتاه من كثرة القفز حماساً. لقد شعرت بنفسي مهجورة، لكن كالعادة، جعلني الفرح على وجهه أنسى كل شيء.

ابتسمت له السيّدة.

- ها هو ذا زوجك منذ ثلاثة أيام! مرحباً بكَ!

- مرحباً!

رغم أن السيدة لم تخاطبه بلباقة، إلا أن هيرويوكي ردّ عليها على نحوٍ طبيعي، وكانت هذه السَلاسَة تسحرني فيه.

- السيد والسيدة هذان رافقاني بلطفٍ بينما كنتُ أنتظرك.

شكرهما هيرويوكي بانحناءة، ثم نظر إليهما.

- تشابهكما لافت للنظر، كأنكما توأمان! قال، ممازحاً.

شعرت بالقلق من الألفة التي خاطبهما بها رغم أنه تعرف عليهما لتوه، لكنني ارتحت عندما ردّ الرجل قائلاً: «كثيراً ما يقولون لنا ذلك»، قبل أن يضحك بصوتٍ عالٍ.

- هل تعتقد أن الزوجين ينتهي بهما المطاف بأن تكون لديهما ملامح مشتركة؟ أم أنّكما كنتما متشابهين أصلاً؟ سأل هيرويوكي بنبرةٍ ودّية.

- سؤالٌ وجيه. أعتقد أننا ننتهي بالتشابه، أو بالأحرى، نصبح متطابقين، أجاب الرجل بهدوء.

- أوه، تقصد أنه يصبح لدينا نفس الشغف ونفس الأذواق؟

- لا... بل أنني أصبح الآخر والآخر يصبح أنا.

ابتلعتُ ريقي عند سماع هذه الكلمات العميقة. بدا هيرويوكي مستغرباً أيضاً.

- هذا كلامٌ فلسفيّ بليغٌ جداً.

- ستختبران هذه المتعة بعد خمسين عاماً!، قال الرجل ثم ضحك من قلبه.

- هل يعني كونكما متطابقين أنكما أصبحتما شخصاً واحداً؟ سألتُ بفضولٍ.

وضعت السيدة يدها على خدّها.

- سيكون ذلك متعباً! كيف أقول ذلك... حسناً، قد يبدو الأمر غريباً، لكن منذ فترةٍ بدأت أشعر بأنه من العجيب أننا لسنا مربطين بِصلة دم.

- صحيحٌ أنكما تبدوان كأنكما من نفس العائلة، قال هيرويوكي.

هزّت السيدة رأسها.

- لا، المظهر ليس له علاقة بالأمر. المسألة هي أنني أجد صعوبةً في تصديق أنه لا تربطنا قرابةٌ حقيقية. في شجرة العائلة، لدينا جميعاً أقارب من الدرجة الأولى والثانية، أليس كذلك؟ يدهشني أن أنا وزوجي ليس لدينا أي قريب مشترك. لا أصدّق ذلك، فهو الشخص الذي تربطني به أقوى صلة قرابة. وكأنّ دمي ليس الدم المناسب.

- من المذهل أن يصل الأمر إلى هذا الحدّ! صاح هيرويوكي ضاحكاً.

أمّا أنا، فقد تأثّرت لدرجة أنني لم أضحك.

خيطٌ أحمر. ألم يكن هذا الدمَ الذي يجري في جسدينا

وليس مجرد قطعة صوف تربط شخصين من خنصريهما؟ لم ينطوِ الأمر على جرِّ أحدنا نحوه خيطاً سبق وأن حُدِّدَت عُقده، بل أن تتمّ المزامنة بين الخيوط الحمراء العديدة التي تتدفق باستمرارٍ في كلّ منا، مع تراكمنا لتجارب الحياة. ربّما هذا هو الرفيق المميز جداً الذي يبحث عنه البشر طوال حياتهم.

*

رفعتُ عينَي نحو وجه هيرويوكي. بدا لي لطيفاً جداً.

لم نكن نعرف ما سيحدث لعلاقتنا بعد خمسين عاماً، لكنني كنت آمل أن نظلّ معاً.

الرجل الذي رغبت في أن أعيش معه كان يضحك بجانبي ولم يكن هناك ما هو أثمن من تلك اللحظة.

هذا النوع من اللحظات هي التي ستبني علاقتنا.

التقت نظراتنا فابتسم لي. شعرت بدمائنا تجري فينا. سيصمد زواجنا، لأنني أنا أيضاً أمتلك هبة الحب. **يكفيني ذلك**، قلت في سري وأنا أومئ لنفسي. لأنني كنتُ مكتفية.

دون أن تكون المسألةُ مسألةَ قدر، أو أبدية، أو وعود.

الفصل السادس

نصف قرنٍ من الحب

الرمادي • سيدني

صباحُ الخير. ما أجمل الطقس هذا الصباح أيضاً! هل جئتَ لتأكل، أنتَ أيضاً؟ قلتُ في نفسي.

لم يكن تناول وجبة الإفطار على شرفة مقهى الفندق يُريحني كثيراً، لكن هذا النوع من الترف لم يكن يضرّ من وقت لآخر. كان شينيتشيرو، زوجي، جالساً قبالتي يلتهم طبقاً من البيض مع اللحم المقدّد.

خمسون عاماً من الزواج! ما قولك بذلك؟

بالأمس، في حديقة حيوان تارونغا، صاحت عروسٌ شابّة: « أن تنسجما معاً إلى هذا الحد لمدة خمسين عاماً هو علامة على أن الخيط الأحمر للقدر يربط بينكما!». نعم، خمسون عاماً. كان ذلك يؤثر بي كثيراً. إنه أمر رائع. كانت رحلتنا لشهر العسل مجرد ليلة واحدة في منتجع أتامي الساحلي، وبما أن شينيتشيرو كان دائماً مثقلاً بالعمل، فإن هذه

الإقامة في سيدني هي رحلتنا الأولى إلى الخارج. لقد قدمتْها لنا ابنتنا احتفالاً بعيد زواجنا الذهبي. نعم، إنها سعادة غامرة.

لم تهبنا السماء سوى ابنة واحدة، هيروكو. في الحضانة، كنتُ قد دوّنت الرموز اليابانية التي اخترناها لاسمها، لكن مقطع «رو» بدا صغيراً، حتى أن البعض قرأ «بيكو»، فناداها الجميع «بي». كان اسماً لطيفاً مثل تغريدة عصفور، فتبنّيت هذا الاسم المُختَصَر بدوري.

في الحقيقة، كنت أرغب في عائلة كبيرة. لكن فرح الإنجاب استغرق وقتاً طويلاً ليجد طريقه إلى منزلنا. كنت قد استسلمت عندما طرق بابنا أخيراً، مما سمح لي، في سن السادسة والثلاثين، بلقاء ابنتي بي. إنّه عمر بي اليوم. بدا لي ذلك غريباً. لو أننا، بفضل قفزة في الزمن، وجدنا نفسينا في نفس العمر، أتساءل عمّا كنا سنتحدث. ربما كنا سنصبح صديقتين. وهي تنمو، غالباً ما كنت أفكر أنني أحببتها ليس لأنها ابنتي، بل لأنها الشخص الذي هي عليه.

ذات يوم، أخبرتنا أنّها كانت تدّخر المال منذ عشر سنوات لتهدينا رحلةً إلى سيدني بمناسبة عيد زواجنا الذهبي. كم كانت كلماتها مؤثرة. كانت آتسوكو، صديقة طفولتها، قد تزوجت هناك قبل عامين. دُعيت بي إلى حفل الزفاف، وخلال تلك الزيارة، وجدتْ المدينة رائعة، فأرادت لنا أن نزورها. في ذلك الوقت، كانت تعمل لدى شركة ملابس جاهزة وكانت ترغب في

بدء عملها الخاص. أما اليوم، فهي تدير متجرها الخاص للملابس الداخلية، وشعرتُ بالفخر لنجاحها.

أوه، أتذكر الآن، متجرها يقع على ضفة النهر، وعلى الجانب الآخر، يوجد مقهى ماربل، وهو مكانٌ صغير لطيف. هناك شابٌ وسيمٌ يُدعى واتارو يعمل فيه. لو كان لديّ ابن، لكان مثله بالتأكيد. كنّا نتفاهم جيداً من كثرة حديثنا في مختلف المواضيع.

حين زرت مقهى ماربل مؤخراً، سألني: «ما هي "أزهار الكرز الخريفية؟"». كان يظنّ أنني أعرف الكثير عن النباتات، لأنني شغوفة بالبستنة. كان هذا التعبير يشير بالتأكيد إلى الكون. فكلمة «الكون» تُكتب برمز الخريف متصلاً برمز شجرة الكرز. عندما علم ذلك، صاح: «فهمت!» وقد بدا كأنه لم يفهم شيئاً على الإطلاق. كان قد وضع شجرة عيد الميلاد حيث يمكن للزبائن تعليق أمنياتهم مكتوبة على قصاصاتٍ من الورق، وهو تقليد صيفي لتاناباتا، عيد النجوم. أخبرني أن أحدهم كتب: «أزهار الكرز الخريفية»، دون المزيد من التوضيح. ومن تعابير وجهه، خمّنت على الفور أن هذه الرسالة كُتبت من قِبل من أسرَت قلبه.

وأنت، هل تعرف ما هي أزهار الكرز الخريفية؟ يبدو الأمر أشبه باللغز!

*

- ما هذه؟ شوكولاتة؟

كنت أراقب شينيتشيرو وهو يدهن خبزه بمعجونٍ بُنّي من برطمان أصفر موضوعٍ مع المربيات. كانت الكتابات الإنجليزية غير مفهومة بالنسبة لي.

قضم شطيرته بابتسامة مربكة. نعم، هذا هو الوجه الذي كنت أنتظره! هيه هيه، لقد ارتكبتُ نفس الخطأ سابقاً. هذا المعجون ذو المذاق الخاص، ظننته حلواً، لكنه مالح. إنه مقزز. ومع ذلك، كان لا بدّ من تجربته لتكوين رأيٍ حوله. أردت أن يتذوقه شينيتشيرو بنفسه لذلك لم أقل شيئاً.

كنتُ قد استسلمتُ من أول قضمة، أمّا هو فقد ابتلع بعزمٍ قضمةً ثانية، ثم ثالثة. بدا أنه تغلّب على الصعوبة.

- فوجئت في البداية، لأنه لم يكن هذا ما توقعته، لكنني اعتدت عليه وأجد طعمه مثيراً للاهتمام.

لا شيء ولا أحد يستطيع إحباطه. حتى أنّه نسخ في دفتر ملاحظاتٍ الحروفَ البيضاء على خلفية حمراء المطبوعة على الملصق الأصفر للبرطمان: «VEGEMITE».

- «بيغيميتيه؟».

أمال رأسه، غير واثق من نفسه. أوه، أعتقد أن بي كانت قد حذرتنا. هذا المعجون يشبه الشوكولاتة، لكنه منتج غذائي مالح يُنطق... همم... «فيجيمايت». شيء مالح مخفي تحت مظهر حلو، هذا يشبه الحياة البشرية تماماً.

بطريقةٍ ما، كانت مراقبة شينيتشيرو وهو يتناول طعامه تريحني. كان يأكل كل شيء باحترام. رغم صعوبات الحياة، عندما يحين وقت الطعام، كان يتذوق كلّ لقمة بابتسامة. فبحسب رأيه، حتى لو كانت لدينا مشاكل، سيكون كل شيء على ما يرام إذا شعرنا بالامتنان لطعامنا اليومي. كانت طريقة تفكيره هذه تمنحني بعض القوة أيضاً.

كم وجبة تناولنا معاً حتى اليوم؟ وكم تبقى لنا منها؟

كان زواجنا ثمرة حب. كنتُ محاسبةً في وكالةٍ للأشغال العامة حيث كان يعمل، والتي كان عدد موظفيها... اثني عشر شخصاً. بما أنني كنت المرأة الوحيدة، كنت محبوبة! كنت محاسبةً بالاسم فقط، لأنني في الواقع كنت أقوم بكل المهام الصغيرة. تقديم الشاي، بالطبع، وأيضاً التنظيف، والتسوّق، وأحياناً، تحضير الكثير من كرات الأرزّ. كنت... كيف أقول... مثل مديرة نادٍ رياضي. حين أفكر في الأمر اليوم، أرى كم كنت شابة ومفعمة بالأمل في ذلك الوقت.

كان زوجي جاداً للغاية بطبعه، وبالإضافة إلى كونه قصير القامة، لم يكن يفرض نفسه، لذلك لم يكن يلفت الانتباه. حتى عندما كان أحد زملائه ينسب لنفسه الفضل في جهوده، كان يبتسم في ركنه بتكتم. هذا الشينيتشيرو كان يغيظني. احتججت

آنذاك: «لماذا لا تُظهِر نفسك أكثر؟» لكنه أجابني بهدوء: «لم أكن لأتمكن من إنجاز هذه المهمة وحدي، وعندما يكون الأمر لصالح الشركة، لا يهمّ من يقوم به، أليس كذلك؟». قلت في نفسي إنّ هذا الرجل لن يرتقي في المناصب أبداً. كنتُ أحبّ الرجال الأقوياء. كنت أواعد يوسوكي، وهو زميلٌ يتمتّع بروح القيادة وكان الأكثر قوةً والأكثر صخباً في المكتب. كنت مقتنعةً بأنني سأتزوجه يوماً.

لكن المدير كان يقدّره كثيراً لدرجة أنه شجّعه على الزواج من ابنته، فهجرني يوسوكي بين ليلة وضحاها. إنها حبكة مثالية لمسلسلٍ من الدرجة الثانية، أليس كذلك؟

ذرفتُ الكثير من الدموع، وحتى لو لم تكن لديّ أي مسؤولية في هذه القصة، ازداد العمل صعوبةً بالنسبة إليّ. وفي اللحظة التي كنت سأقدم استقالتي فيها، قال لي شينيتشيرو: «تزوجيني!».

لم يقل لي: «هل ترغبين في أن تكوني صديقتي؟» بل قال: «تزوجيني». اعتقدت أنّه شفق عليّ، فأهنته، قائلة: «منْ هي المرأة التي تقبل برجلٍ عادي مثلك؟ أنا أحبّ الرجال الأنيقين!». أراد قلبي، الذي ملأه السواد في تلك الفترة، أن يجرح شينيتشيرو اللطيف. لكنّه لم يتأثّر بردّة فعلي العنيفة، وأجابني مبتسماً، بلباقةٍ وبخجله المعتاد:

- سأكون أنيقاً في المستقبل. أعدكِ بذلك. قد تظنين أنني عاديّ، لكن مع تقدّم العمر، سأصبح رجلاً وسيماً بشعرٍ رمادي جميل.

وقفتُ مذهولةً، وتأمّلتُ ابتسامتَه لبعض الوقت. ثم تخيّلته مسنّاً. فوجئت بمدى سهولة ذلك. نعم، سيصبح حتماً رجلاً وسيماً. تجاوزتُ خيالي قليلاً، واقتنعتُ أنّه سيكون من المستحيل أن أكون تعيسة معه.

استقلتُ من الوظيفة ثم تزوّجتُ شينيتشيرو. وبعد عشر سنوات، عندما مرض مديرنا، اقترح على شينيتشيرو وليس على يوسوكي أن يتولى مسؤولية الوكالة من بعده. لم يعد يوسوكي في وئامٍ مع ابنة المدير. فبعد أقل من ثلاث سنوات من زواجهما، غرق في لعب القمار ومطاردة النساء، ثم طلّق زوجته. كان قد ترك الشركة بالطبع، ولم أعد أسمع عنه أخباراً بعد ذلك. وعلى ما يبدو، تزوّجت طليقته مرة أخرى وسمعتُ أنّها كانت تعيش في زواجٍ غير رسميٍّ مع رجلٍ لا علاقة له بالوكالة.

عند وفاة المدير، قلب شينيتشيرو الدنيا رأساً على عقب بحثاً عن يوسوكي. وقد عثر عليه أخيراً يكافح لتدبّر أموره بعقودٍ يومية وطلب منه بكل احترام أن يقف إلى جانبه في إعادة بناء

الشركة. كانت الوكالة في ذلك الوقت تسير بشكل جيد ولم تكن بحاجة إلى مساعدة يوسوكي، لكن لطالما قلق شينيتشيرو حيال مصيره. لو قال له: «أنا أوظّفك»، لجرح ذلك يوسوكي في كبريائه، لأنه كان يعرف بالتأكيد أننا تزوجنا. لكنّه طأطأ رأسه بدوره متوسلاً: «أرجوك». كانا، كلاهما، رائعين.

أعطت عودة يوسوكي دفعةً جديدة للشركة، التي ازدهرت بشكل كبير. أما شينيتشيرو، فلم يتغيّر على الإطلاق. ظل صادقاً، ومتواضعاً، ومرحاً. لم يكن يتنازل أبداً، حتى أمام الشخصيات البارزة، كما أنه لم يكن يتكبّر أبداً، حتى مع الموظّفين الجدد.

أعتقد أن التواضع يأتي من الثقة بالنفس وأن اللطف هو القوة الحقيقية.

قبل خمس سنوات، على ما أظن، أدركت فجأة أن شعر شينيتشيرو قد أصبح كله أبيض اللون... لا، بل أصبح رمادياً جميلاً.

- أريد كوباً ثانياً من القهوة، طلب من النادلة بعد أن أنهى فطوره.

بدا مطمئناً لوجود يابانية ضمن طاقم العمل. «حالاً!»،

أجابته بنبرةٍ مرحة الشابةُ ذات الشعر الأسود الطويل على شكلِ ذيل حصانٍ. كان سوارها الأخضر الفاتح يليق بها جداً. ربما كنتُ في عمرها عندما التقيت زوجي. ذكرتني بوقتٍ كنتُ أقدّمُ فيه الشاي لشينيتشيرو: «تفضل، هذا فنجانك».

- شينيتشيرو، كنتَ على حق.

رمش مرتين وأطلق ضحكة خفيفة. بدا أن كلامي يسلّيه.

- بأي خصوص؟

لا، لا شيء. آسفة لأنني أجبرتك على الاستماع إليّ خلال فطورك. أنا متأكدة أنك ما زلت جائعاً. هل تريد خبزاً؟

كنت على وشك أن أناوله شريحة خبزٍ، عندما عادت النادلة، حاملة إبريق القهوة.

- هل ترى هذا الطائر؟ إنه طائر اللوري. ريشه متألق، أليس كذلك؟

كان رأسه أزرق، وصدره برتقالياً، وجناحاه أخضرين، كما رسم خطٌّ أصفر عند مستوى عنقه ما يشبه الوشاح.

إنّك حقاً ملوّنٌ جداً!

- ياللروعة، يا ميساكو، قال شينيتشيرو.

أوه! توقف! خفق قلبي في صدري تحت وقع هذا المديح. كما لو كنتُ فتاة صغيرة. لقد مرّت عقود منذ أن قال لي إنني جميلة. أعتقد أنه أثنى عليّ بعد زواجنا بفترة قصيرة. شعرتُ بالسعادة والحرج، ورفعت رأسي وأنا أعضّ على شفتي، حين أدركت أنه كان يتأمل طائر اللوري.

منْ تجده رائعاً؟ أنا أم طائر اللوري؟

لا يهمّ. راقبت في صمتٍ الطائر متعدد الألوان وزوجي، بابتسامته الرقيقة الثابتة.

أمّا أنا، فأفضّل بلا شك شعرك الرمادي الجميل، يا شينيتشيرو، قلت في سري.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل السابع

العدّ التنازلي

الأخضر • سيدني

حين كنتُ أُسأل عن سبب قدومي إلى أستراليا وكنتُ أشرح: «لرسم الأخضر»، دائماً ما بدا الناس مربكين.

كان البعض ينهون المحادثة بقولهم «أوه، حسناً»، فيما أصرّ البعض الآخر على معرفة دوافعي وأهدافي الحقيقية.

وغالباً ما كنت أسمع: «عندما تقولين "الأخضر"، أنتِ تقصدين الطبيعة، أليس كذلك؟». وحين كنت أصحّح: «لا، اللون الأخضر»، كانوا يردّون بنبرة متشكّكة: «كيف ذلك، اللون؟».

لم يفهمني أحد، لكن ما أحببته حقاً هو اللون الأخضر.

كان الأشخاص الذين يتقبّلون إجابتي نادرين جداً. عندما صرحتُ مؤخّراً «أنا هنا لأرسم الأخضر» لزبونةٍ في مطعم الفندق حيث أعمل، أجابتني على الفور:

- هذا منطقي، أنتِ رسامة!

- إطلاقاً، أنا أرسم من أجل المتعة.

- الأشخاص الذين يرسمون هم رسامون، قالت، مبتسمةً. سواء كانوا يتقاضون أجراً أم لا.

كانت هذه السيدة المسنّة وزوجها، اللذان بدَوَا متفاهمين على نحوٍ رائع، في رحلة إلى سيدني بمناسبة الذكرى الخمسين لزواجهما، كهدية من ابنتهما. لم أعتبر نفسي يوماً رسامةً، لكن أن يراني زوجان بهذه التجربة الطويلة كرسّامة جعلني أشعر أن هذا قد يكون صحيحاً.

في يوم 31 ديسمبر هذا، كان الطقس رائعاً.

كانت قد أجرتْ معي **كانفاس**، وهي صحيفة مجانية موجّهة لليابانيين في سيدني، مقابلةً حول مقالٍ نُشر على موقعهم الرسمي، بعنوان: «تجربتي مع تأشيرة عطلة العمل». نادراً ما كنتُ أقرأ صحف السياحة والسفر من هذا النوع، لكن بعد هذه المقابلة، حصلتُ على جميع الأعداد.

كانت مقالتي المفضّلة بتوقيع «ماكو». تستعرض المقالة الاختلافات الثقافية بين اليابان وأستراليا وتعرض عبارات إنجليزية شائعة. في هذا الشهر، كانت المقالة تتناول ليلة رأس السنة الجديدة.

في سيدني، كانت تُطلق ألعاب نارية مذهلة عند جسر هاربر بريدج فور انتهاء العد التنازلي. كانت عشرات الانفجارات تملأ السماء، منعكسة في خليج سيدني كالمرآة

ومضيئة سطح الماء. علمت من هذه المقالة أنه في تلك اللحظة، من المفترض أن يتبادل الناس القبلات.

لكن هذا لم يكن يعنيني. في ليلة رأس السنة، كنت أخطّط للبقاء في شقتي. لم يكن لديّ أحد لأقبّله ولم أكن أريد أن يقبّلني غرباء.

وكعادتي، أخذت دفتر رسوماتي وأنابيب ألواني إلى الحدائق النباتية الملكية، المعروفة عموماً في سيدني باسم «الحديقة النباتية». كانت شاسعة جداً لدرجة أنك إذا أردت زيارتها بالكامل، كنت تحتاج إلى نصف يومٍ على الأقل. إنها مليئة بالأشجار الوارفة والزهور التي لا تُحصى، الخفافيش معلقة على أغصان الأشجار وهناك قطار سياحي أحمر صغير يتجوّل في الحديقة. كان من الصعب تصديق أن هذا المكان الرائع يقع في حيّ تجاري.

في الطريق، اشتريت سندويتش دجاج وليمونادا من محل سندويتشات أحبّه، وأخذتها معي «take away». في المدرسة، تعلمت أن عبارة «طلب سفري» تُترجم إلى «take out» في الإنجليزية الأمريكية، ولكن لم تكن نفس العبارة في أستراليا. البائع ذو المئزر البرتقالي، الودود دائماً، قال لي: «G'day!» باللهجة المحلية، رافعاً إبهامه وغامزاً بعينه.

كانت القبعة والنظارات الشمسية ضرورية لتجنب وطأة

شمس الصيف. لكنني خلعتها بمجرد أن جلست في ظل شجرة كبيرة، فهنا تبدأ لحظتي الخاصة.

رشفتُ رشفةً من الليمونادا. كانت أشعة الشمس حارقة، لكن بمجرد أن صرتُ تحت الشجرة، غمرتني برودةٌ منعشة. كان اللون الأزرق الفيروزي لميناء سيدني يُجمّل المشهد. فتحت دفتري وأنا في قمة السعادة.

عصرتُ أنابيب الألوان على لوحة ورقية. الأصفر والأزرق. وفقاً لإحساسي وأفكاري، كنت أصنع اللون الأخضر، أمدّه على اللوحة، ثم أرسم، أستمتع بملمس الفرشاة، أشعر برائحة الهواء والأشجار والأوراق والطلاء، وأرى عالمي يتلوّن بالأخضر. أوه! كم كنت سعيدة!

- . . . لكِ؟

أعادني صوتٌ إلى وعيي فجأة. لم أكن قد لاحظت أن شاباً نحيفاً ذا شعر بُنّي كان بجانبي، ينحني لينظر إلي.

- ماذا؟

- هل هذا لكِ؟

مدّ لي منديلاً وهو يبتسم ابتسامةً عريضة. تلاشى حذري.

- أوه، عذراً. نعم، إنّه لي.

نهضتُ بسرعة لأستعيده. كنتُ قد مسحت جبيني المتعرق

في الطريق وظننت أنني وضعته في الجيب الجانبي لحقيبة ظهري، لكن يبدو أنني أسقطته.

- شكراً.

كشف عن أسنانه الجميلة مع إيماءة خفيفة من رأسه.

- . . . الأخضر؟

لم أصدق عيني. لم أكن وسيطة روحية ولم يكن لديّ معرفة أو خبرة في الموضوع، لكنني رأيتُ جسده محاطاً بضوءٍ أخضر عذبٍ، لا بدّ أنّها هالته. مع أنّه كان يرتدي قميصاً أبيض. بقيت واقفةً بلا حراك، فنظر إلى دفتري وقال:

- أنتِ رسامة، أليس كذلك؟

كنت على وشك أن أنفي، لكنني أكّدتُ على قوله على نحوٍ مفاجئ، ربما بفضل كلمات السيّدة التي قابلتُها في الفندق.

- عرفتُ ذلك. أرِني لوحتكِ.

وحالما نطق هذه الكلمات ببراءة طفلٍ، جلس القرفصاء وأمسك دفتري. تأمل بحنانٍ لوني الأخضر الذي لم يجف بعد. شعرتُ ببعض الرضا، على ما أعتقد. جلستُ، ودون أن أتفوّه بكلمةٍ واحدة، راقبته هو واللون الأخضر.

- أنتِ لا تستخدمين اللون الأخضر الجاهز، أليس كذلك؟ سأل دون أن يرفع نظره عن الدفتر.

ربما كان قد رأى لوحة ألواني.

- تماماً. إنّه أخضري أنا.

في الأساس، الأمر يتعلّق باللونين الأصفر والأزرق، اللذين أمزج معهما ألواناً مختلفة تدريجياً.

*

لطالما فتنني اللون الأخضر. لا أعرف متى بدأ ذلك. كان الأمر كذلك منذ أيام الحضانة التي أتذكرها، لذا ربما كان منذ ولادتي. كلمة «أحبّ» لا تكفي لوصف قوة شعوري. كان هذا اللون صديقي، وحاميَ، وذكرياتي، ومستقبلي. يواسيني بلطفٍ، ويمنحني الشجاعة. حتى حين ينبذني زملائي، لا أشعر بالوحدة معه. لطالما اعتبرتُ حبي له مثل حب الآخرين لكلابهم، وقططهم، والموسيقى، والكتب.

لهذا السبب، كنت أحتفظ بهذا اللون معي على الدوام.

في الفندق، كان سوارٌ أخضر مصفرٌ يمنحني الطاقة. وفي سريري، كانت وسادة خضراء داكنة تمنح الهدوء لجسدي وذهني. وكان منديلي القماشي ذا لون أخضر ناعم ويناسب كل المواقف.

عندما كنت أختار قطع الديكور، والقرطاسية، والأثاث، كنت أفحص درجات اللون الأخضر أولاً. لكن ليس كل ما كان

بهذا اللون كان يرضيني بالضرورة. بعض درجات الأخضر لم أكن أحبّها، وحتى من بين تلك التي قد تعجبني، كثيرٌ منها لم يكن يناسبني على الإطلاق. لهذا السبب انتهى بي الأمر إلى خلق أخضري الخاصّ.

خلال دراستي في كيوتو، كنت أذهب إلى معرضٍ فني صغير قرب منزلي، كان ينظّم معارضَ مجانية. لم تكن أعمالاً مشهورة، بل لوحات من ذوق المالك.

في أحد الأيام، كنت أتأمل اللوحات عندما تجمّدت لاشعورياً أمام لوحةٍ من الأكريليك.

كانت لوحة تمثل طبيعة خضراء، رأيت فيها حيوية جنونية، وبالتالي، رهافة واضحة. أشجارٌ كالراقصين، وأوراقٌ كالمغنيات. لونٌ أخضر مذهل.

- إنها حديقة النباتات في سيدني، رسمها صديقٌ لي.

كان رجلٌ هادئ يقف خلفي. كان مالك المعرض، تميّزه قامته القصيرة وشامته الكبيرة في منتصف جبهته.

نظرت إلى اللوحة من جديد. كنت متأكدة أن اللون الأخضر يهمس لي: «اذهبي إلى سيدني، هذه المدينة تنتظركِ».

- يجدر بك الذهاب إلى هناك.

أخرج الرجل ذو الشامة بطاقة عمل من جيب قميصه وكتب على ظهرها «الحدائق النباتية الملكية»، وهو اسم الحديقة. بدا وكأنه يعرف كل شيء رغم أنني لم أسأله عن شيء. كانت

البطاقة تحمل كلمة واحدة فقط: «**ماستر**»، من دون رقم هاتف أو عنوان بريد إلكتروني.

من الممكن أن تغيّر لوحةٌ حياةَ شخصٍ. مثل هذه الظواهر ممكنة.

كانت سيدني تناديني إليها.

منذ ذلك الحين، عثرت على وظيفة صغيرة، وادخرت المال، وفور تخرجي، سافرت إلى أستراليا بتأشيرة عطلة العمل.

وفي اللحظة التي وطأت فيها قدماي الحديقة النباتية، التي كنت أتوق لاكتشافها، شعرت وكأنني أسمع: «كنت أنتظركِ». أوه! هنا، كان أخضري في كل مكان. شعرت بالترحيب بأذرع مفتوحة. لطالما أحببت اللون الأخضر، لكن للمرة الأولى، شعرت أنّه يبادلني الحب بدوره.

كان فتحُ دفتر رسوماتي في الحديقة النباتية أشبه بموعد غرامي مع اللون الأخضر. وهذا ما لم أستطع الاعتراف به لأحد.

*

موعدٌ غرامي. عند هذا الخاطر، تذكّرتُ فجأة الشاب ذا الابتسامة اللطيفة الذي ظهر بقربي. كان عمره بين الخامسة والعشرين والثلاثين. ربما أصغر أو أكبر بقليل.

- أود رؤية المزيد. هل تريني بقية دفترك؟

بدأ يخاطبني بصيغة أكثر ودّية. دفتري، لم أرِه لأحدٍ من قبل. لكن معه، يمكنني فعل ذلك.

- نعم، تفضّل، أجبته.

لكنه أعاده لي دون أن يتصفّحه. كنا جالسين جنباً إلى جنب، فعرضت عليه ببطءٍ درجات اللون الأخضر واحدة تلو الأخرى.

مكانٌ، فصلٌ، لحظةٌ. أخضرٌ رأيتُه، أخضرٌ تخيّلته. بأقلام التلوين، وأقلام الباستيل، والطلاء. أوراق، دوائر، مربعات، أشكال هندسية أخرى، صفحة ملونة بالكامل، مخفّفة بالماء، بأسلوب التنقيط. أخضري أنا. أنا واللون الأخضر.

- **يو**، هل هذا اسمكِ؟ سألني عندما رأى توقيعي في زاوية الصفحة.

- نعم.

اسمي يو. كان هذا الرمز الكتابي ذو السبعة عشر خطاً صعب الكتابة بشكل متوازن. كنت أفضل كتابة **يو** بحروف صغيرة متصلة.

- يو بمعنى «أنتِ»، كما لو أنّ أحدهم يناديكِ. إنها فكرة رائعة. أنا متأكد أن أعمالك مطلوبة جداً، أليس كذلك؟

- إطلاقاً. لم أعرض أعمالي في أي مكان، وعلى أية حال، أنا أرسم لمتعتي الخاصّة فحسب.

عند هذا الردّ، شعرتُ بالخجل قليلاً من تأكيدي له قبل قليل أني رسامة.

كان قريباً مني جداً بحيث كان بإمكاني لمس وجهه، لكنني لم أستطع الالتفات إليه. ربما كان يبتسم.

- ألا تسألني؟ سألته، مطأطئة الرأس.

- عن ماذا؟

- لماذا لا أرسم سوى اللون الأخضر.

- هل يجب حقاً إيجاد سببٍ لذلك؟

انحنى قليلاً إلى الأمام. كانت حركة بسيطة، لكنني فهمت أنه غيّر وضعيته ليسهل علينا التحدث.

- تقولين إنك لا ترسمين سوى الأخضر، لكن هذا اللون يشمل مجموعة من التدرجات. بالنسبة إليّ، هي ألوان مختلفة، كلها جميلة. الفرح، المتعة، الحزن، الغضب، الحنان، الشغف. أشعر بها. أتمنى أن ترسمي أكثر، أكثر بكثير، أضاف بنبرة هادئة لكن حازمة.

- يمكنني الاستمرار إذاً؟

صدمتني هذه الكلمات التي خرجت من فمي. بدا أن باباً

كنت أعتقده مغلقاً قد فُتح على صدى صوتي. تدفّقت الكلمات التي كنت أكبتها الواحدة تلو الأخرى.

- هل لي الحق في الاستمرار في رسم اللون الأخضر؟

كانت أمي تردّد: «لماذا لستِ مثل باقي الأطفال؟ ما فائدة رسم لوحات خضراء عديمة الفائدة وجمع أشياء خضراء؟ أنت تثيرين اشمئزازي! أنت لست طبيعية!». عندما كنت في الحادية عشرة من عمري، أكد معلمي الرئيسي أنني بحاجة إلى فحصٍ نفسي. ومنذ ذلك الحين، لم تعد أمي تبتسم لي. انتهى الأمر بلوحاتي باللون الأخضر الثمين ممزّقةً في سلة المهملات. لم تكن لديّ القوة لأطلب من أمي أن تتوقف عن فعل ذلك. شعرت وكأن قصاصات الورق الممزّقة هي أنا. اكتفيت بمشاهدتها تقوم بذلك دون أن أذرف دمعة واحدة، وقلبي متحجّر. كانت كلماتها قاطعة: «تمثّلي بأخيك، على الأقل هو موهوب في المدرسة! أما أنتِ، فلا تصلحين لشيء! كيف يمكنني أن أجد ابنتي لطيفة، أنتِ التي ترسمين أشياء غريبة وليس لديك صديقات!».

في نهاية دراستي، قرّرت مغادرة المنزل والذهاب بعيداً قدر الإمكان. كنت في أسعد حالاتي عند نداء لوحة الحديقة النباتية واللون الأخضر. لقد أنقذني، ولكن ربما كنت مقتنعة بذلك لأنني كنت في حاجة ماسّة للمساعدة. لكن مع الأسف، كانت تأشيرتي ستنتهي بعد ثلاثة أشهر. ماذا سأفعل عند عودتي إلى اليابان؟

بعد صمتٍ طويل، أخذ نفساً عميقاً ثم وضع يده على رأسي برفق.

- لقد عانيتِ كثيراً.

ربّت مرتين على قمة رأسي، كما لو كان يواسيني، ثم عانقني.

- لكنكِ رسامة، لذلك أنا متأكد أنك لم تستطيعي التوقّف عن الرسم أو عن حبّ اللون الأخضر، قال وهو يبعد ذراعيه ويمسك بيدي، ثمّ أردف: استمري. لونكِ الأخضر سينقذ أناساً. ما ترسمينه هو من أجلك، وهو من أجل الآخرين. كل شخص سيجد بلا شك لوحةً تخصّه. اكشفي أعمالك للعالم.

بكيتُ. بكيتُ مثل طفل يجهل اللغة. بكيتُ، وبكيتُ، وبكيتُ، ثم صرخت ودمرت ذلك الشيء القاسي، الثقيل وعديم الفائدة الذي لطالما حملته بين ذراعي، مدعية أنّه مهمّ. في مكانٍ ما في قلبي، كنت أعلم ذلك. لقد أردتُ التخلّص منه طوال حياتي.

وتحرّرتُ.

أمسك بيدي من جديد، بقوة أكبر هذه المرة، ثم قبّل جبيني.

لم أكن أعرفه، ومع ذلك، لم أصدّه. لأنني شعرتُ وكأنني أعرفه منذ الأزل. لكنني، من شدة خجلي، لم أستطع النظر إليه.

كانت هناك ساعات قليلة قبل بدء العد التنازلي، لكنني كنت قد تلقيت من هذا الرجل قبلةَ الاحتفالِ بالسنة الجديدة.

ترك يدي بشكل تلقائي وقال لي:

- شكراً.

لحبكِ لي.

اعتقدتُ أنني سمعت هتين الكلمتين، لكنني ربما كنت مخطئة.

مسحت وجهي المغطّى بالدموع بالمنديل الذي التقطَه. شعرت بالراحة أخيراً. أدركت أنني لم أسأله عن اسمه، فرفعت رأسي مبتسمة.

لكن لم يكن هناك أحد إلى جانبي، وإنما وحدها الريح التي هبّت في أوراق الأشجار الخضراء الوارفة.

الفصل الثامن

أجمل يوم في حياة رالف

البرتقالي • سيدني

كان مطعم السندويتشات الصغير يقع بالقرب من الحديقة النباتية. على الواجهة، توجد مظلة ولوحة برتقالية تحمل اسم **مطبخ رالف** بحروفٍ بيضاء. كان رالف اسمَ صاحب المطعم.

كان هذا الأخير يربط مئزره البرتقالي كل صباح ويعمل على تحضير السندويتشات وهو يدندن. لحم، خس، طماطم، سلمون مدخّن. كان يتبّل البيض المسلوق المقطّع بشكلٍ خشن بقليلٍ من الخردل والكثير من المايونيز. وتحت أشعة الشمس الصباحية، كان يتخيّل بنشوةٍ الزبائن الذين سيأتون إليه خلال النهار.

كان يقترب من الأربعين، لكنه بدا أكبر من عمره بسبب بطنه المنتفخ، وشعره الخفيف، وميله الواضح للنكات السخيفة. كان يصيح بعبارة «G'day!» للجميع، ويصحبها دائماً

بغمزة عين. هذه التحيّة الأسترالية كانت تُستخدم للترحيب وتمنّي يومٍ سعيد في آنٍ واحد. كانت هذه الكلمة تنعش الزبائن، كما لو أنهم تعافوا فجأة من نزلة برد. ربما لأنهم كانوا يشعرون بمدى تقدير رالف لتلك اللحظة الخاطفة معهم. في كل لقاءٍ، كانت ابتسامته المشرقة تعبيراً خاصاً عن الحب.

لم يكن متزوجاً أو مرتبطاً. كان قد أحبّ امرأة في الماضي، ورغم طبيعته المرحة، كان خجله أمام النساء شديداً لدرجة أن علاقته انتهت فجأة، دون أن يعترف لها بمشاعره أو يراها مرة أخرى.

لم يكن يزعجه أن يعيش وحيداً، لأنه كان يدير الأعمال المنزلية بسهولة، لكنه كان حزيناً لعدم وجود شخصٍ في حياته يمكنه أن يريه النباتات المزهرة على شرفته.

كان «مطبخ رالف» في الأساس مخبزَ والده، الذي قام هو بتجديده. ففور انتهائه من دراسته الثانوية، عمل في أحد البنوك، ولكن قبل ثلاث سنوات، افتتح والده متجراً أكبر في وسط المدينة، مما دفع رالف إلى الاستقالة وتولي إدارة المخبز.

لم يكن يكره قضاء أيامه في حساب الأرقام، لكنه يفضّل اليوم التواصل الودّي مع زبائنه كما لو كانوا أصدقاء، والعمل بدافع من مشاعره بدلاً من الأرقام: «هل رأيتم كيف تلمَع

الطماطم؟ ما أجملها!»، «سيكون الجو حاراً، سأحضر كمية جيدة من الليمونادا المنعشة»، «حسناً، أعتقد أنني سأغيّر تصميم المناديل الورقية». كانت هذه الحياة تناسب شخصيته أكثر، حتى وإن كانت خبرته المهنية السابقة ميزة كبيرة في إدارة شؤونه المالية.

كان اللون البرتقالي قد أصبح العلامة المميزة لمتجر رالف بفضل حادثة عزيزة على قلبه.

قبل ثلاث سنوات، عندما كان لا يزال موظفاً، كان قد وقع في حب سيندي، جارته الجميلة والذكيّة في نفس الطابق. لم يكن يعرف شيئاً عن مهنة هذه الشابّة التي تصغره بخمسة عشر عاماً. حين كانت تفتح بابها أو كان كلاهما يتركان نوافذهما مفتوحة خلال موجات الحرّ الشديد، كانت رائحة حلوة خفيفة تعبق في الهواء. كان هذا العطر يغمر رالف بشعورٍ بالسلام، فيغمض عينيه في نشوة. لم يكن يعرف ما إذا كانت الرائحة تأتي من زهورٍ أو فاكهةٍ أو عطر، أو كل هذه معاً أو شيء آخر تماماً، لكنها كانت ساحرة للغاية. لسوء الحظ، كان عاجزاً عن سؤال سيندي عن مصدر هذه الرائحة حين كان يلتقي بها في البهو أو بالقرب من المبنى، وكان يكتفي بإضحاكها بنكاته السخيفة.

ذات صباح شتوي، وفيما كان يغادر شقته متوجهاً إلى عمله، صادفها وهي تعقد أربطة حذائها.

- صباح الخير، يا رالف!

كانت قد رفعت رأسها نحوه وهي جالسة، وابتسمت له ابتسامةً صافيةً كزهرة اللوتس.

- أنتِ مبكرة اليوم، أجاب بصعوبة، وقد أربكه الموقف.

- نعم، سأستقل الحافلة. وأنت، هل ستذهب إلى المحطة؟

نهضتْ ووقفتْ بجانبه على نحو تلقائي لترافقه. أراد رالف أن يلقي نكتة، لكن غالبَه خجله كعادته وخفض عينيه. عندها، ولتلطيف الأجواء، قالت سيندي بنبرةٍ مرحة:

- اسمع، لديّ اختبار نفسي صغير لك. ما هو لونك المفضل؟

أربكه هذا السؤال غير المتوقّع. لكن وكأنه منجذب للرائحة التي تدغدغ أنفه بلطف، أجاب:

- البرتقالي.

- لماذا؟

خطر بباله لونٌ كان يمكن أن تقوله سيندي الجميلة، وهي تميل برأسها. وتحت تأثير سحرها، واصل حديثه بوجهٍ هائم:

- إنّه لونٌ مبهجٌ. لا أملك ثقة كافية بنفسي لأفضّل الأحمر، ولستُ غريبَ الأطوار بما يكفي لأختار الأصفر. البرتقالي دافئ، يجعلك سعيداً ومفعماً بالطاقة.

رمشت سيندي بعينيها، ثم ابتسمت.

- أنا أتّفق معك. اللون البرتقالي يعكس «الشخص الذي تريد أن تصبحه». في الواقع، الإجابة تكمن في التفسير أكثر من اللون المذكور. لكن يا رالف، أعتقد أنك هكذا بالفعل، أوضحت وقد بدا عليها الرضا.

حاول أن يجد ردّاً، لكن دون جدوى. تصببت قطرات العرق من جبينه تحت ضغط التفكير، لكنهما كانا قد وصلا إلى موقف الحافلة.

انضمت الشابّة إلى الطابور، فيما بقي رالف بجانبها، غير قادرٍ على الابتعاد، إلى أن ظهرت الحافلة. شعر رالف بأنه يجب عليه إضافة بعض الكلمات، لكن سيندي كسرت الصمت:

- سوف يجعل من البرتقالي ميزته الخاصة... همست.

كيف ذلك؟ ميزته الخاصة؟ بأي معنى؟

- وداعاً، يا سيّد برتقالي.

ودون انتظار ردٍّ من رالف المندهش، صعدت إلى الحافلة ورحلت. في الأسبوع التالي، علم من أحد الجيران أنها انتقلت من المبنى، ولم يتمكنا من متابعة حديثهما أبداً.

*

بعد أقل من ستة أشهر، افتتح محل السندويتشات الخاص به. وفي نفس الفترة، تقرّر هدم المبنى السكني الذي يعيش فيه. لكن هذا المبنى كان قديماً جداً بحيث كانت هذه النهاية متوقعة.

عندما علم بالخبر، غمره شعورٌ بالحزن: «إذا عادت، فهي لن تجدني». لأن هذا المكان كان الوحيد الذي جمعهما.

ندم على عدم التحدث إليها، وعلى بقائه منطوياً. كان ينبغي له أن يكشف لها عن مشاعره، حتى لو لم تكن تبادله نفس المشاعر. إذا رآها من جديد، سيصارحها هذه المرة.

لكن سرعان ما أدرك، مبتهجاً، أن قلقه لم يكن له أساس. فقد خطرت في ذهنه فكرة جعل اللون البرتقالي العلامة المميزة لمحل السندويتشات الخاص به، تماماً كما تنبأت سيندي.

كان اختيار هذا اللون للمظلة واللوحة ومئزره قراراً ممتازاً. لم يكن سكان الحي يطلقون على المحل اسمه «مطبخ رالف»، بل كانوا يلقبونه بـ «المتجر البرتقالي». كان رالف سعيداً بذلك، وفخوراً بأن اللون البرتقالي أصبح علامة مميّزة لمتجره. كان الناس الذين يشعرون بالجوع يبحثون عن هذا اللون الإيجابي ويأتون لشراء السندويتشات منه. كانت هذه الفكرة تولّد في داخله فرحاً عارماً، كأجنحة ترفعه في الهواء.

- كلّ هذا بفضلها.

بعد إغلاق المتجر والانتهاء من التنظيف، تذكّرها،

وأغمض عينيه وهو جالس على كرسي عند المنضدة. وبوجهٍ مبتهجٍ، تخيّل شعرها الطويل مثل سويقات العنب البري، وبشرتها البيضاء المشدودة.

أخذ نفساً عميقاً، وقد بدا له أنه يشم الرائحة الحلوة اللطيفة من الماضي، وعيناه لا تزالان مغمضتين.

- لقد وجدتكَ!

ها أنا أسمع أصواتاً! فكّر ضاحكاً قبل أن يفتح عينيه ببطء.

*

كانت سيندي هناك، أمامه، تبدو أكثر نضجاً قليلاً من ذي قبل. كانت قد ظهرت فجأة، مثل شخصيةٍ تخرج من صندوق موسيقى عند فتح غطائه.

- مر وقتٌ طويلٌ، يا رالف.
- سيندي! أهذه أنتِ حقاً؟ يصعب عليّ تصديق ذلك.
- نعم، إنّها أنا. لقد عدت بالأمس من إنجلترا.

كان لديه الكثير ليقوله لها. لكنه طرح السؤال الثاني الذي كان يؤرقه.

- وأنتِ، ما هو لونك المفضّل؟

- الأزرق الفيروزي، أجابت على الفور، كما لو كانت تتوقع السؤال.

- لماذا؟

- إنّه مليء بالغموض، لأنّه سحري. بفضله، تمكنتُ من جعلكَ تنتظرني في هذا المتجر البرتقالي وتستقبلني بابتسامة.

الأزرق الفيروزي. إنه لونٍ جميل، يليق بسيندي. هزّ رالف رأسه. اقتربتْ منه برفق، وبمرحٍ، شدّتْ طرف مئزره.

- هل نجحتُ في أن أسحركَ؟ سألتْه.

ودون تفكير، فتح ذراعيه على اتّساعهما ليحتضنها، قبل أن يستولي عليه الخجل.

- نعم. أكثر من اللازم.

رفعت عينيها نحوه قليلاً، مبتسمة بفخرٍ كما لو كانت قد فازت بميدالية ذهبية، ثم تكوّرت بين ذراعيه.

بدت رائحة المرأة الشابة تتغلغل في جسده، فضمّها رالف إلى صدره مرة أخرى، وهو عاجز عن تحديد ما إذا كان يضحك أم يبكي.

- آمل أن أبقى مسحوراً إلى الأبد.

تلألأت الشمس الغاربة عبر النافذة. **يوماً سعيداً «G'day!»، يا رالف**. الوهج البرتقالي الذي غمرهما كان يباركهما، لكن سيمرُّ بعض الوقت قبل أن يدرك رالف ذلك.

الفصل التاسع

عودة الساحرة

الأزرق الفيروزي • سيدني

لطالما أردتُ أن أصبح ساحرة. مذ كنتُ في روضة الأطفال في سيدني، كنتُ أحلم بذلك في الوقت الذي كنت أتعلّم فيه حروف الأبجدية. لم أكن أعرف سبيل الوصول إلى هدفي ولم يشرح لي أحدٌ الطريق، لكنني كنتُ مقتنعة بأنني سأحققه.

اعتقدتُ أن قليلاً من التدريب سيكفيني للطيران على مكنسة وتحريك الأشياء بضربةِ عصا سحرية، لكن ما فتنني أكثر من أي شيء آخر هو تحضير الجرعات السحرية. وحدي في غرفتي المظلمة، كنت أطحن الزهور البرية والمكسّرات والتوت، ثم أخلطها كما يحلو لي، حالمةً بالتأثيرات المحتملة لهذه الوصفات.

في الليلة التي سبقت مسابقةٍ رياضية في المدرسة، شربتُ «جرعتي الخاصّة للركض السريع»، لكنني لم أحصل إلّا على آلامٍ في المعدة وتوبيخٍ شديد من أمي. قلتُ لها وأنا مستلقية

على سريري: «ما كان عليّ فعل ذلك»، فردّت وهي تُداعب خدّي: «إذا كنتِ قد فهمتِ الدرس، فهذا رائع». من المؤكّد أنّها استنتجت أنني لن أكرّر ذلك. لكنني كنت أدلك بطني وأفكر: **ما كان يجب أن أحضّر الجرعة بهذه الطريقة. سأنجح في المرة القادمة.**

كانت السيّدة غريس أوّل مَنْ علّمني السحر. في أحد الأيام في المدرسة الابتدائية، ذهب صفي في رحلة مشي. وبما أنها درست النباتات في الجامعة، رافقتنا السيدة غريس في هذا النشاط خارج المدرسة. وطوال المشي، علمتنا أسماء الزهور والثمار الصالحة للأكل. لكن ركبة أحد زملائي جُرِحَت عندما تعثّر بحجرٍ، فاختفت السيدة غريس فجأة، ثم ظهرت مجدداً مع بعض الأوراق، وبينما كانت تفركها برفق على الجرح، نطقت «تشيتشين بويبوي»، فضحك جميع التلاميذ متسلّين بهاتين الكلمتين الغريبتين. وحين رأيتُ زميلي المصاب يضحك ويجفّف دموعه، قلت في نفسي:

هذا سحرٌ. السيدة غريس ساحرة!

لم أكفّ عن الضحك، لكن لسببٍ مختلف تماماً عن زملائي، ولم أرفع عينَي عنها حتى نهاية الرحلة. ولأنني كنت ما زلت أضحك وأنا أفتح علبة غدائي، قلقَ أصدقائي حيالي قليلاً.

كانت السيّدة غريس تقف بظهرٍ مستقيمٍ وكانت ترتدي

أقراطاً جميلة من الحجر تظهر من تحت شعرها المربوط على عجلٍ. عندما تفرّقت المجموعة، انتهزتُ الفرصة لأكلّمها على انفرادٍ:

- سيدتي، لدي سؤالٌ.

- ما الأمر، يا سيندي؟

كم فوجئتُ أنّها تذكرت اسمي، رغم أنني قدّمت نفسي مرةً واحدة فقط في بداية الرحلة!

- ما هي الأوراق التي استخدمتِها؟

- آه! صاحت مع غمزةٍ من عينها. إنّها أوراقٌ سحرية. تشفي الجروح.

كنتُ متأكدةً من ذلك!

أسعدني ردّها كثيراً.

- وماذا عن تينيك الكلمتين المضحكتين؟

- «تشيتشين بويبوي»؟ علمتني إياهما صديقةٌ يابانية. إنها تعويذة سحرية تجعل العالم رائعاً. كلمتان لطيفتان، أليس كذلك؟ مكتبة سُر مَن قرأ

- نعم، جداً!

أخذتُ نفساً عميقاً، ثم قرّرت أن أسألها المزيد.

- سيدتي، هل أنتِ ساحرة؟

رمقتني بنظرةٍ سريعة، ثم وضعت فوراً إصبعها السبابة على شفتيها، مبتسمةً.

- شششش! إنّه سرّ! همستْ لي.

قفزتُ فَرَحاً، لكنني لم أرَها بعد ذلك أبداً. لقد رافقَنا بعدها معلمٌ آخر خلال الأنشطة خارج المدرسة والمخيمات الكشفية. ندمتُ كثيراً لأنني لم أطلب معلومات الاتصال بها، فقد كان بإمكانها أن تعلّمني السحر.

بعد ذلك، تصفّحتُ كل الموسوعات المصوّرة التي وقعتْ بين يَدي وتعلّمتُ منها عن وجود نباتات مطهِّرة أو موقِفة للنزيف. ولم يكن هذا كلَّ شيء. كانت هناك نباتاتٌ أخرى تساعد الناسَ بفضل تأثيرها المفيد، أو بالأحرى، السحري. وبحماسٍ كبير، التهمتُ كلّ الكتب حول الموضوع وقادني شغفي إلى الحديقة النباتية.

اكتشفتُ سريعاً أن الأقراط في أذنَي معلمتي كانت من حجر الفيروز، بفضل قلادة من نفس الحجر رأيتها في واجهة متجرٍ للتحف. ردّدت عبر الزجاج بلا كللٍ الكلمة المكتوبة على البطاقة: «فيروز، فيروز، فيروز». ووفقاً لأبحاثي، كان حجراً فريداً، استُخدِم منذ زمن طويل في السحر وفي بعض الطقوس، وكان مرغوباً أيضاً كتميمة حظٍّ. وبحسب المعتقدات، كان مرتبطاً بالأرواح أو بالكون. لذلك بدأتُ في تقديره وارتدائه

مثل السيدة غريس، كي أصبح ساحرة. وقررت أن يكون الأزرق الفيروزي لوني. فلسببٍ لا أعرفه، لم أكن أرى بديلاً لذلك.

في المدرسة الثانوية، جاءت فتاةٌ يابانية لتقضي سنةً في صفي في سيدني. وحين رأت ماكو سواري الفيروزي، قالت لي:

- يا له من لونٍ جميل! باللغة اليابانية، نسمّيه **ميزويرو**.

وكتبتْ هذه الكلمة في دفترها وشرحت لي أن **ميزو** تعني «ماء» **ويرو** تعني «لون». **ميزويرو**. لون الماء. وبالمثل، يوجد المرادف **أكوا بلو** في اللغة الإنجليزية. وهكذا، في البلدان الناطقة بالإنجليزية كما في اليابان، كنا نرى في شفافيةِ الماء لونَ الغموض.

- هل تعرفين تعبير «تشيتشين بويبوي»؟.

ضحكت ماكو بمرحٍ عند هذا السؤال.

- كلّ اليابانيين يعرفون هذه التعويذة السحرية القوية!

في هذه الحالة، كانوا كلُّهم سحرة! كما كانت للسيدة غريس صديقةٌ يابانية بكل تأكيد.

مع تعمقي في معرفة النباتات، وصلت إلى العلاج بالروائح العطرية. حتى الكتب الرسمية روت أنّ النساء في أوروبا، في العصور الوسطى، كنّ يُطارَدْن لأنهن اعتُبرن ساحرات

لاستخدامهن النباتات الطبية والعطرية. غصتُ في هذه القصة الحزينة. وبما أن السحر جلب الاضطهاد للنساء اللواتي سبقنني، كان عليّ أن أواصل التقليد على النحو الصحيح. في نهاية المدرسة الثانوية، تلقيت تدريباً وعملت كمدرّبة في معهدٍ للعلاج بالروائح العطرية. كان نقلُ فوائد النباتات للطلاب المتحمسين مثلي سعادةً خالصة.

بعد قضاء خمس سنوات في هذه الوظيفة، وخلال بحوثي على الإنترنت، اكتشفت بالصدفة أنّ السيّدة غريس تعلّم في مدرسة إنجليزية للعلاج بالروائح العطرية. كان ذلك قبل ثلاث سنوات. منذ رحلة المشي المدرسية، لم تكن لديّ سوى صورةٌ قديمة واسمها كدليلٍ على شخصيتها، لكنني كنت متأكدة أنها هي. أرسلتُ بريداً إلكترونياً إلى المدرسة وتلقّيتُ ردّاً من السيدة غريس. اقترحتْ عليّ الانضمام إليها في إنجلترا إذا كنتُ مهتمّة، فاستقلت من الوظيفة وقررت الرحيل.

لم أندم في ذلك، لكنني تحسّرتُ على مشاعري نحو جاري رالف.

كان هذا الرجل القصير ذو البطن المنتفخ والأصلع تقريباً، الأكبر مني بخمسة عشر عاماً، يعمل في مصرفٍ. بدا معقّداً بسبب مظهره الجسدي، لكنني كنتُ أجده جذاباً. كان جسده كرةً من الحب، وانعكس ذلك في ابتسامته، وكان يكفيني أن أراه حتى أنعم بالهدوء. من الشارع، كنت أميّز في شرفته الزهور الجميلة التي يعتني بها بحماسٍ. ودائماً ما كان يطبخ في

وقت العشاء، رغم وحدته، فتنبعثُ من تحضيراته روائح طيّبة. كان من نوع الرجال الذين يرافقون سيدةً عجوز تائهة إلى وجهتها وهم يحكون لها النكات.

لم أبح له بمشاعري، رغم أنها كانت قويةً لدرجة أنني لم أتخيل أن امرأةً أخرى قد تأخذه مني. كما لم أخبره برحيلي. لأنني لم أكن أعرف متى سأعود.

لذلك ألقيت عليه تعويذة.

قبل رحيلي مباشرةً، حضّرتُ جرعة حبٍّ كنت أدرس وصفتها منذ فترة. زيت يَلانج العطري، خلاصة اللوتس، بتلات زهور أذن الفأر، تنهيدتي الخاصة، قطرة من ضوء القمر المكتمل... أما المكونات الأخرى، فهي سرّية. مزجتُ كل شيء مع ماءِ وردٍ استثنائي ورششته على جسدي كلّه. ثم في صباح أحد الأيام، انتظرت رالف أمام شقته، جاعلة لقاءَنا يبدو صدفةً، وحرصت على أن يتبعني إلى محطة الحافلة.

- ما هو لونكَ المفضّل؟

تناولت موضوعاً تافهاً، بينما اجتهدت في هزّ شعري وإمالة رأسي حتى تصل إليه آثار الجرعة.

- البرتقالي.

فتنتني إجابته اللطيفة مثله، وفجأة، كما في إعلانٍ

ترويجي، ظهر لي مرتدياً مئزراً برتقالياً وهو يحضّر السندويتشات بفرحٍ. وبعد ثوانٍ قليلة، اختفت الصورة، لكنني عرفت أنه في يومٍ من الأيام، سيدير هذا الموظف المصرفي محلاً للسندويتشات. كانت هذه المرّةَ الأولى التي أختبر فيها ذلك. لكنني لم أتفاجأ، فكنت أعرف في قرارة نفسي أننا جميعاً قادرون على تطوير هذا النوع من الموهبة عندما نكون حقاً في حالة حب.

عند عودتي، سأبحث عن محل سندويتشات برتقالي اللون.

انتظرْني، يا رالف.

في لحظة الفراق، ناديته «سيّد برتقالي» لكي أحبس المستقبل الذي رأيته، وبينما كنت أصعد إلى الحافلة، أقفلت عليه سراً بالتعويذة السحرية «تشيتشين بويبوي».

في إنجلترا، اجتمعتُ بالسيدة غريس مجدداً ودرست العلاج بالروائح العطرية إلى جانبها. لقد تذكّرتني جيداً وعلّمتني الكثير من الأشياء، في المدرسة كما في المجال الخاصّ. ساعدتُها كمتطوعةٍ في مراكز العلاج وخلال أنشطةٍ لحماية الغابات. استفدتُ من ذلك لأكون منتبهةً للروابط والمساعدة المتبادلة بين البشر والطبيعة والكائنات الحيّة. في الواقع، كانت كلُّ الكائنات متصلةً بعضها ببعض. معرفة ذلك، والتفكير فيه،

والإحساس به، والتحلي بالأمل والمبادرة بالعمل كانت كلُّها أموراً أساسية لاكتساب قوى السيدة غريس.

- الآن، أنتِ ساحرة، يا سيندي! قالت لي وهي تنفجر ضاحكةً عند حصولي على شهادة نهاية التدريب.

هذا السحر الذي جعل العالم رائعاً، كنت أطبّقه في مجالات متعددة: إعادة الابتسامة للمرضى، نزع السلاح من قلب أسودٍ بالكراهية وضمه بين ذراعي، منح أحلامٍ جميلة لمن يعانون من الأرق.

الآن وقد انتهى تدريبي في إنجلترا، سأبدأ حياةً جديدة في سيدني. سأجعل العالم مشرقاً بفضل الفيروز، والعلاج بالروائح العطرية، و«تشيتشين بويبوي». إلى جانب حبيبي الرائع بمئزره البرتقالي الساطع مثل الشمس.

الفصل العاشر

لو لم ألتقِ بكِ

الأسود • سيدني

في اللحظة التي كنت أكتب فيها «me wo shirokuro saseru»، جاءتني لحظة إلهام مفاجئة.

كنت أترجم كتاباً مصوراً للأطفال عن الإنجليزية بتكليفٍ من ناشري. كان البطل غربياً ذا عينين زرقاوين. أردت التعبير عن الدهشة، لكن استخدام تعبير «me wo shirokuro saseru» لشخصٍ ذي عينين زرقاوين، والذي يعني حرفياً «جعل عينيه سوداوين وبيضاوين» للتعبير عن تقليب العينين من هول المفاجأة، كان أمراً سخيفاً.

كما أن تعبير me no kuroi uchi، الذي يعني «ما دمتُ على قيد الحياة»، لكنه يعني حرفياً «ما دامت عيناي سوداوين»، هو الآخر غير مناسب هنا. توقّفت عن الترجمة وضحكتُ. قرّرتُ أن أستشير غريس في الأمر، فهي مهتمّة باللغة اليابانية.

في سن السادسة والثلاثين، ما زلت أندهش من أن البشر،

هؤلاء المخلوقات ذات الأطياف المتماثلة لكن بألوان بشرة وأحجام مختلفة، يستخدمون لغاتٍ مختلفة رغم أنهم يعيشون على الكوكب نفسه. كان يمكن أن تكون الأمور أبسط لو استطعنا فهم بعضنا البعض. لكن على صعيدي الشخصي، كنتُ ممتنةً لله لأنه جعل التواصل البشري أكثر تعقيداً قليلاً، لأنه منحني متعة الترجمة: كانت الكلمات الإنجليزية تلجُ إلى أعماقي، فتتحوّل إلى اليابانية في ذهني، قبل أن تعود إلى العالم الخارجي.

*

في سن الرابعة عشرة، أردت أن أصبح مترجمة.

كنت أعشق كتب الأطفال المصورة باللغة الإنجليزية رغم أنني لم أغادر شيتاماتشي، شرق طوكيو، أبداً. في المدرسة، كان درس اللغة الإنجليزية هو الوحيد الذي أنتظره بفارغ الصبر. أردت أن أخوض مجال الترجمة، حيث يواجه المرء النصّ وحده وعلى وتيرته الخاصة، وليست الترجمة الفورية التي تتطلب التحدّث أمام الجمهور وسرعة البديهة.

ثم جاء لقائي مع غريس ليضاعف هذه الرغبة عشر مرات.

في المدرسة الإعدادية، كنت عضواً في نادي اللغة الإنجليزية. في أحد الأيام، وبمناسبة أنشطة التبادل الدولي، قدّم لنا أستاذنا قائمة بالمراسلين من المدارس التوأم. كان من

الشاعرية جداً كتابة رسالة إلى شخصٍ مجهول في بلدٍ مجهول! تصفحت القائمة وقلبي يخفق. كانت تتضمن البلد والاسم والعمر ونبذة تعريفية موجزة. الولايات المتحدة، كندا، سنغافورة. قرأت كلَّ سطرٍ بعناية.

من أستراليا، غريس، أربعة عشر عاماً. «I can talk with flowers» (أستطيع التحدث مع الزهور).

أصابتني الدوخة عند قراءة هذه الرسالة. لم يكن في محيطي أحدٌ يقول أشياء غريبة كهذه.

أثْرَت رسائلُنا العديدة مراهقتي بشكلٍ مذهل. كانت فعلاً تتحدث مع الزهور والأشجار. كانت تفهم متى تكون عطشى أو بحاجة إلى ضوء الشمس، وأكثر من ذلك، كانت تخبرها إذا كان سيمطر في اليوم التالي، وكانوا يتحدثون معاً عن كل شيء. كانت غريس تتحدّث إليها باستمرار، تحكي لها عن خلافاتها مع والدتها، ومشاعرها الناشئة تجاه صبي، ومراسلاتها الجديدة مع فتاةٍ يابانية (أنا)، وفي رسائلها، كانت تصف إجاباتها.

كم كنت أحسدها! لم أكن أفهم شيئاً من لغة حديثها مع الزهور، لكن غريس كانت قادرةً على فكّ رموزها ونقلها لي كتابةً: كانت هذه ترجمةً. كانت قراءةُ أحاديثها مع الزهور تسليني، لكن لا بد أنها كانت تستمتع بها أكثر مني بكثير.

استمرت علاقتها بالزهور حتى سن البلوغ. كانت ممتنة للهبة التي تلقتها من النباتات، فوجدت لها فائدة دون أن تتباهى

أبداً، من خلال مساعدة الآخرين عبر العلاج بالروائح العطرية والعلاج بالأعشاب.

*

واصلنا مراسلاتنا، ثم التقينا أخيراً، في سن العشرين. ذهبتُ إلى سيدني خلال عطلة الصيف الجامعية. استقبلتني غريس في المطار وعندما رأت وجهي، ظلت تكرّر كم أن عينَي السوداوين رائعتان، رغم أن اليابانيين لم يكونوا نادرين في سيدني، كما أن عينيها هي، البنيتين الفاتحتين الشفافتين، كانتا جميلتين.

- آتسوكو، لون عينيك مميّز. إنهما صافيتان جداً بحيث يمكنك رؤية الأشياء كما هي، حتى ما هو غير مرئي للآخرين.

حتى ذلك الحين، لم أكن معجبةً بنظرتي على نحوٍ خاص، لكنني لم أكرها أيضاً. ومع ذلك، منحتني كلمات غريس الشَجاعةَ: شعرت أنني أمتلك قوة سحرية، مثلها.

عند حصولي على شهادتي في اللغة الإنجليزية، حصلت على وظيفةٍ في وكالةٍ صغيرة للترجمة. كانت مهامي تتمثل بشكل رئيسي في ترجمة تعليمات المنتجات المستوردة وكراريس دليل استخدام الآلات. كنت فخورة بأنّ لدي عملاً حقيقياً كمترجمة. لكنني أردت ترجمة الأدب ونشر الكتب.

كان الطريق للوصول إلى الهدف شاقاً. فلطالما فشلتُ في مسابقات الترجمة الأدبية التي كنت أشارك فيها حالما رأيت إعلاناً عنها، لكن الحصول على المركز الثاني ما كان من شأنه أن يجعل مني مترجمة.

لم تخفف الإخفاقات المتتالية الألم الناجم عن رفضي، لأنني في كل محاولة، كنت أقول لنفسي: **هذه المرة هي المرة التي سأنجح فيها!** بيد أنّ نصّي المرسل عبر البريد كان ينتهي ممزقاً في سلة المهملات، وعندما كنتُ أرسله عبر الإنترنت، كنت أشعر كما لو أنه لم يكن أبداً، لأنه يختفي معه الوقت والجهد والمشاعر التي كرستها له. وعند قراءة الترجمة الفائزة، كنت أتنهّد، متسائلةً عن الفرق بينها وبين ترجمتي.

كانت غريس متأكدةً من أنني سأصبح مترجمة، وذلك أكثر مني بكثير. فلطالما رددتْ على مسامعي: «حلمكِ سيتحقّق، أؤكد لكِ ذلك، ستكونين مترجمةً بارعة». كانت كلماتها تريحني كثيراً. كنتُ أقول في نفسي، إذا كانت بهذا اليقين، فقد تكون على حق، ومنحني تأكيدها الثقة في مستقبلي.

كنتُ أذهب مرّة في السنة للقائها في سيدني، حيث التقيت مارك، وهو مصمم ديكور داخلي.

أمام إلحاحه اللطيف، تزوجته بين ليلةٍ وضحاها قبل خمس سنوات، عندما كنت في الحادية والثلاثين من عمري. ليس لأنني استسلمت لحماسه، ولكن لأنني تكيّفت مع التفاؤل

المحلي المتمثل بالـ No worries! («لا تقلق!»)، العبارة المفضّلة لدى الأستراليين. وبما أنني لم أكن متحمسة للاستعراض العلني، استقررت في سيدني دون تنظيم حفل زفاف.

احتجت إلى بعض الوقت للعثور على عمل، لذلك كنت أتردّد على المكتبة لفترة من الزمن. كان هناك العديد من الكتب القيّمة التي لم تُترجم إلى اليابانية، فالتهمها وقمت باستبدال الإنجليزية بكلماتي الخاصّة التي كنت أدوّنها في دفترٍ دون أي مشروع للنشر، مدفوعةً فقط برغبة الترجمة.

بعد انتقالي إلى سيدني، قضيت شهر العسل مع غريس، ما أثار غيظ مارك. وقد سافرتْ إلى إنجلترا بعد ذلك مباشرة، لدراسة العلاج بالروائح العطرية.

منذ ظهور البريد الإلكتروني وإمكانية المشاركة الفورية لما يدور في ذهننا، توقفنا تقريباً عن المراسلة على الورق. وعبر الإنترنت، شعرت بغريس قريبةً مني كما لو كانت معي في نفس الغرفة.

ورغم مرور السنين، لم تنضب محادثاتنا أبداً. فإلى يومنا هذا، أنا أسارع لفتح رسائلها بنفس الحماس الذي كنت أشعر به في سن الرابعة عشرة، حين كنت أعثر على رسالة في صندوق البريد.

*

قبل عامين، قالت لي في رسالة إلكترونية: «رأيتك في المنام وأنت ترتدين فستان زفاف، ويحيطك اللون الأخضر. نظّمي حفلَ زفافٍ في الحديقة النباتية في أقرب وقتٍ. سيفتح ذلك آفاقاً لكثيرٍ من الناس، بمن فيهم أنتِ».

زعمتْ أنّ هذه الرسالة واردة من النباتات. تردّدتُ في البداية - أنا التي لم أكن شخصاً اجتماعياً ولم أكوّن سوى صداقات قليلة منذ وصولي إلى أستراليا - لكن بعد التفكير، خلصتُ إلى أن الأمر سيكون أكثر إرهاقاً في اليابان مع عائلتي وكل معارفي. وبما أنني ابنةٌ وحيدة، فإن الظهور بفستان الزفاف أمام والديَّ كان أيضاً علامة على البرّ بهما، كما أن الزواج في الخارج منحني عذراً لدعوة المقربين فقط. لم أدعُ سوى أربعة أشخاص: والديَّ، وبي صديقة طفولتي، وغريس. وعملاً بنصيحتها، احتفلنا بزفافٍ بسيطٍ في الحديقة النباتية.

كان هذا الحفل غير الرسمي بحضور المقربين ألطف مما تصورت، وأسعدني كثيراً حضور غريس. قالت لصديقتي بي، التي كانت تحلم آنذاك بإطلاق متجرها للملابس الداخلية المصنوعة يدوياً، إن الأزرق هو لون مستوحى من القداسة. تأثّرت بي وردّت بأنها ستصنع يوماً ملابس داخلية بهذا اللون.

كان معظم ضيوف مارك من الأستراليين الصاخبين، باستثناء واحدٍ منهم، ياباني هادئ وأكبر سناً. بدا أنّه تجاوز الخمسين، ولديه شامة في منتصف جبهته لا يمكن تجاهلها.

عندما رآه مارك، اندفع نحوه مثلما يندفعُ كلبٌ نحو سيّده، وقدّمه لي.

- إنّه زميلٌ أثق به كثيراً. يلقّب نفسه بـ «ماستر».

- «ماستر»؟

- نعم، لأنّه حصل على الماجستير من جامعة أسترالية.

ابتسم ماستر عند سماع هذه الكلمات.

- ليس هذا السبب الوحيد، لكنني أحب أن يُنادى عليّ بهذا اللقب.

كان يتنقّل بين اليابان وأستراليا، ويساهم في أنشطة متنوعة في مجالات مختلفة. أخبرني مارك أنهما يعملان معاً في مشاريعِ تصميمٍ داخلي لبعض المتاجر والمباني.

- أتذكرين محل السندويتشات الشهير الذي افتتح العام الماضي؟ قلتِ إنه أعجبك. حسناً، لقد عملنا عليه نحن الاثنان.

كنت أعرفه جيداً. كان محل السندويتشات البرتقالي هذا يديره شخصٌ مرحٌ.

- «من أيّ منطقة أنتِ؟»، سألني ماستر بإنجليزية مثالية، لإشراك مارك في المحادثة على الأرجح.

- من طوكيو.

- حقاً؟ أنا أسكن هناك أيضاً، لكنني من كيوتو. لديّ معرض فنيّ صغير هناك. أودّ أن يرسم مارك لوحات لمعرضي القادم. لوحاته جميلة جداً بحيث لا ينبغي للرسم أن يبقى مجرد هواية.

أومأ مارك برأسه.

- بالطبع! اليوم، سأرسم الحديقة النباتية!

عندما علم ماستر برغبتي في أن أصبح مترجمةً، قدمني سريعاً لدار نشر يابانية دون حتى أن يطلب سيرتي الذاتية. طلبوا مني في البداية ترجمةً أوّلية، أعجبت الناشر فأوكل إليّ عدة مهام أخرى.

وفي أحد الأيام، استجمعتُ شجاعتي واقترحت على هذا الناشر كتاباً أردت ترجمته. وافق بسهولة أكثر ممّا توقّعت، وصدر كتابُ الأطفال المصور الأسترالي الذي ترجمته في اليابان الشهر الماضي. قال مارك: «استمرّ سوءُ حظّكِ طويلاً، لكن منذ أن جئتِ إلى هنا، تقدّمت مسيرتك المهنية بسرعة!». لم أوافقه الرأي. لم أكن سيئة الحظ، لأن الوقت الذي مرّ والخبرة التي راكمتها كانا ضروريين لأصبح مترجمة.

كان اسمي مذكوراً على الغلاف. لمسته بإصبعي مراراً وتكراراً، قربته من وجهي، شممت رائحة الحبر، ثم ضممت إلى صدري هذا الكتاب الذي رأى النور.

قالت غريس، التي أسعدها صدور الكتاب أكثر منا جميعاً: «كنتُ أعرف أنّك ستنجحين». نعم، منذ أن كانت في الرابعة عشرة، تنبأتْ بهذا اليوم.

لو لم ألتقِ بها، لما أصبحت مترجمةً ربما. ولم أكن لأستقرّ في سيدني أبداً.

*

في مارس، تراجعت حدّة الحرارة لتفسح المجال لطقسٍ ألطف.

جلست على شرفة مقهى في الرصيف الدائري، مقابل ميناء سيدني، وفتحت حاسوبي المحمول. وبينما كنت أكتب رسالة إلكترونية لغريس، شعرت فجأة بنظرةٍ ترمقني. كانت امرأةٌ شابة شقراء على الطاولة المجاورة تراقبني. كان أمامها ورقُ رسائل ومظاريف: بدت أنّها تكتبُ لشخصٍ ما. بنظرة خاطفة، لمحت في أعلى الصفحة، باللغة الإنجليزية: «**عزيزتي ماكو**».

تلاقت نظراتنا وابتسمتُ لها، لكنّها أخفضت رأسها بين كتفيها فجأة.

- آسفة لأنني حدّقتُ بكِ. كنتُ أفكّر في صديقتي اليابانية، وبشكل لا إرادي...

- هل تكتبين لها؟

- نعم. لقد أقامت في منزلنا كعائلة مضيفة. في هذه الأيام، كلّ شيء يتمّ عبر البريد الإلكتروني، لكننا نحبّ أن نكتبَ لبعضنا الرسائل.

- أفهمكِ تماماً. إنّه نشاطٌ ممتعٌ جداً.

أومأت برأسها برشاقةٍ ثم تأمّلت البحر. كان جسر هاربر يمتد فوق حركة العبّارات التي تتحرّك ذهاباً وإياباً.

- لو لم ألتقِ بها، لربما ما كنتُ الآن على قيد الحياة، أخبرتني وهي تهزّ شعرها الأشقر.

استدرتُ نحوها، ونظرت إليها بدهشة.

- لقد مرضتُ، لكن صديقتي أنقذتني عندما شارفتُ على الموت، تابعتْ مطأطئة الرأس.

- هل هي طبيبة؟

- كلا... لكن علاقتنا قديمة جداً، تعود إلى حياةٍ سابقة. حياة سابقة...

وضعتْ أغراضها في حقيبتها، وتركتني مندهشة وقد بدتْ سعيدة.

- شكراً لإصغائك!

- أنا منْ يشكركِ، كانت قصة جميلة.

أومأتُ لها برأسي. غادرت المرأة الشقراء بلطفٍ.

إذا كانت لي حياةٌ سابقة، فلا بد أن كانت تربطني علاقةٌ قوية بغريس. وبما أنني شغوفةٌ باللغة الإنجليزية، فلا بدّ أنني كنتُ من المتحدثين باللغة الإنجليزية، وغريس التي كانت تحب اليابان ربما كانت يابانية. لم تكن هناك وسيلة للتحقّق من ذلك، لكن بدا هذا منطقياً.

- آتسوكو، عذراً على التأخر.

وصل مارك. كنّا قد حدّدنا موعداً في هذا المقهى لأنّ كانت لديه بعض الأعمال ليقوم بها في المنطقة.

كان ماستر يسير في أعقابه. سيقام غداً معرضٌ مهمّ للفن والتصميم، وهو ما دفعه للمجيء إلى أستراليا. سيقام اليوم حفلُ استقبالٍ للعارضين في نهاية فترة ما بعد الظهر، دُعينا إليه نحن الثلاثة.

- سأذهب لأحضر لنا شيئاً نشربه.

توجه مارك وحده نحو آخر المقهى. نهضت وحييت مواطني بإيماءةٍ من رأسي.

- مرّ وقتٌ طويل منذ آخر مرة رأينا فيها أحدنا الآخر، قلتُ باليابانية.

وكما في لقائنا الأخير، ضحك بلامبالاة.

- لقد قرأتُ كتابكِ. أحسنت!

- شكراً! هذا بفضلك، يا ماستر. أنت من أوصيت بي دارَ النشر رغم قلة خبرتي، وأنا ممتة للطفك.

حكّ جبينه.

- هذا لأنني أعرف كيف أميّز الناس.

جلسنا وتأملنا البحر. تصرّف هذا الرجل الغامض وكأن كلامه عاديّ تماماً.

- هل ترسم؟ سألته.

- لا. دوري هو اكتشاف المواهب الرائعة المخفية وكشفها للعالم. أحبّ اللحظة التي تسبق تحقيق الأحلام.

عاد مارك بكوبين من الكابتشينو. وبينما كنا نثرثر نحن الثلاثة عن مواضيع خفيفة، قال، كما لو أنّه تذكّر الأمر فجأة:

- بالمناسبة، أنا عدت من بادينغتون للتو، حيث يوجد أحد زبائني.

بادينغتون هو أحد أحياء سيدني، تُقامُ فيه كل يوم سبت سوقٌ كبيرة للتحف القديمة تُنظّم في ساحة كنيسةٍ.

- عثرت على هذه اللوحة في السوق. لا أعرف السبب، لكنها ذكّرتني بطفولتي وأبكتني. بمجرد أن رأيتها، عرفت أنني أرغب في اقتنائها. كانت امرأةٌ يابانية بشعر طويل تبيع لوحاتها الخاصة.

اخترقت أشعةُ ضوءٍ ناعمة أشكالَ هندسية على اللوحة الخضراء المرسومة بالباستيل، والموقّعة باسم «يو» في أسفل يمينها.

أخذ ماستر اللوحة بين يديه، وبعد أن تفحّصها طويلاً، همس:

- أي ساعة تنتهي سوقُ التحف القديمة؟

- عند الساعة الخامسة مساءً، على ما أعتقد.

نظرتُ إلى ساعتي: كانت الساعة تشير إلى الثالثة. كان حي بادينغتون على بُعد خمس عشرة دقيقة بالحافلة. نهض ماستر من كرسيه.

- أنا آسفٌ، لا تنتظراني للحفل. يجب أن أكشف للعالم لوحات هذه المرأة، أعلن وهو يتّجه بخطوات خفيفة نحو موقف الحافلات.

راقبتُ طيفه وهو يبتعد، وأنا أشعر بالذهول.

عادت إلى ذهني المعاني المتعددة لكلمة «ماستر»، وهي كلمة إنجليزية دخلت اللغة اليابانية.

شهادة جامعية، مسؤول، رئيس، معلِّم، مدير، خبير، منشِّط، ركيزة.

فهمتُ حينها لماذا يحبّ هذا اللقب. كان يحفّز الناس على العمل من خلال تشجيعهم أو دعم قضيتهم. فلولا اللقاء بماستر، لبقيتْ مواهب عديدة في الظلّ.

لكن قد نكون جميعاً قد لعبنا هذا الدور على نحوٍ ما بالنسبة لأحدٍ. قد نكون غيّرنا حياةَ شخصٍ ما، في مكانٍ ما، دون أن ندري.

تمايلتْ مظلات المقهى تحت قوة الريح البحرية.

جاء كلبٌ في نزهةٍ ليلهو عند قدمَي مارك. أسرع صاحبه بشدّ الزمام.

- جاك، كفى! أنا آسف!

- لا بأس! أجاب مارك بوجهٍ مبتهج وهو يداعب الكلب بلطفٍ.

كثيراً ما كان هذا المشهد يتكرّر. كانت الكلاب دائماً تتّجه نحوه.

- الكلاب تحبّك حقاً، علّقتُ قائلة.
- نعم. ربما كنتُ كلباً في حياة سابقة.
وعند رؤية تعبيره الجدي، قلبت عينَي من الدهشة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل الحادي عشر

وعدٌ بالتراسل

البنفسجي • سيدني

أرسلت لي ماكو رسالةً بالبريد الجويّ من اليابان، حيث كانت تُقيم، وأرفقتْها بفاصلِ كتابٍ مصنوع يدوياً: زهرة جميلة مجفّفة وردية اللون قامت بتغليفها بالبلاستيك، وعلّقت عليها خيطاً من ورق الواشي أبيض اللون.

حتى أنا الأسترالية، رغم أني لم أغادر سيدني قط، كنت أعرف اسمها. أخبرتني ماكو أنها زهرة كرز، زهرتها المفضّلة، المبشِّرة بقدوم الربيع في اليابان.

*

عندما كانت لا تزال تسكن في سيدني، اصطحبتها في يوم جميل من أكتوبر إلى ركني الصغير من الجنّة. كان طريقاً محاطاً بأشجار الجَكَرَندة التي شكّلت فروعُها قبّةً بنفسجية رائعة. كان مشهد الأرض المغطاة بالبتلات مذهلاً. في أستراليا، زهور الجَكَرَندة هي التي ترمز إلى الربيع.

- أنا أعشقُ هذا المكان، قلتُ لها. عندما أرى هذا المنظر البنفسجي، أدرك أن الربيع قد حلّ!

حدّثتني ماكو وعيناها تلمعان، عن أشجار الكرز وكيف أن اليابانيين يشعرون بقدوم الربيع عند ظهور أزهارها وأن أفضل وقتٍ لمشاهدتها في طوكيو هو في شهر أبريل. فمثل الجَكَرَندة، كانت أشجار الكرز تنمو على طول الطرق ولونها الوردي الفاتح يشبه البنفسجي الفاتح للأشجار الأسترالية.

كان من الصعب عليّ تصوّر الربيع في أبريل، مثلما أنّ ماكو، من جهتها، لا بد أنها استغربت أن يكون في أكتوبر.

- ماري، أنا أيضاً أودّ أن أريكِ مكاني المفضّل، قالت لي. أشجارُ الكرز رائعة هناك.

أومأتُ برأسي.

- نعم، في يومٍ من أيام أبريل، سأذهب إلى طوكيو لرؤيتها!

لم أنطق هذه الكلمات من باب المجاملة فقط، بل أتتني تلقائياً خلال المحادثة. حدّقت بي ماكو وقد انقطعت أنفاسها، قبل أن تبتسم وتجيب:

- أعدكِ بذلك!

قبل عشر سنوات، استقبلتْها عائلتي لمدّة سنة، عندما كانت طالبةً في المدرسة الثانوية.

أتذكّر تماماً ما شعرتُ به عند لقائنا.

إنّها تذكرني بشخصٍ ما... قلتُ في نفسي.

كان الأمر كما لو أن الذكريات تتدفّقُ من ماضٍ بعيدٍ أو أنّ الشخص الذي كنته سابقاً يهزّ جسدي. كنتُ أعرفها. شعرت أننا نتشارك ذكرياتٍ بالفعل. لكنني كنت أجهل أيّ ذكريات.

كنتُ أعاني من مرضٍ في القلب منذ ولادتي. كانت حياتي اليومية مشابهة لحياة الآخرين، باستثناء ممارسة الرياضة، لكن منذ طفولتي، كنت أميل إلى عدم الخروج من المنزل. وبسبب رفضهما البقاء مكتوفي الأيدي أمام انطوائي على نفسي، قرّر والداي أن يصبحا عائلةً مضيفة. أرادا أن ألتقي بفتيات من مثل عمري.

كانت معظم اليابانيات اللواتي استضفناهن يقلن لي من باب الحرص والاهتمام: «انتبهي لنفسكِ»، لكن عدا ذلك، كنّ يجهلن كيف يتصرّفن معي. كنّ يخشين الاعتراف لي بأنهنّ استمتعن في الخارج مع صديقاتهن أو أنّهن ذهبن في رحلةٍ لبضعة أيام.

أما ماكو، فلم يكن لديها هذا النوع من الحواجز. كانت تروي لي ما رأته وسمعته بطريقةٍ مسرحية. تشرح لي حتى الاكتشافات التافهة كما لو أنها عثرت على كنز. كانت هذه اللحظات في صحبتها تملأني سعادةً، مثل محاصيل تنمو في أرضٍ قاحلة.

بعد ذلك، شجعتني على الخروج، في حدود قدراتي. فتذوّقتُ شيئاً فشيئاً الهواء النقي، وتأمّلتُ الطبيعة، وفهمتُ المتعة الكامنة في احتساء فنجانٍ من القهوة. كانت ماكو، والتي تصغرني بخمس سنوات، مثل أخت صغيرة، لكنها لعبت في الحقيقة دور الأخت الكبيرة، على نحوٍ طبيعي.

كنا نتحدّث طوال الوقت، كما كان بإمكاننا أيضاً أن ننشغل بأمورنا الخاصّة لساعاتٍ في صمتٍ تام، حتى ونحن في نفس الغرفة.

أتساءل كم عدد الرسائل التي تبادلناها بعد عودتها إلى اليابان. نحن لم نتعهّد بالمراسلة، لكن معرفة أنها سترّد عليّ منحتني الشجاعة لمواجهة حياتي اليومية المعقّدة.

تحسّن مستواها في اللغة الإنجليزية على مرّ السنين، حتى أنني كنت أشعر أحياناً وكأنني أقرأ رسائل من ناطقة أصلية بالإنجليزية. وبما أنني أخبرتها بأنني أحبّ ورق رسائلها الناعم ومظاريفها ثلاثية الألوان، لم تغيّرها أبداً. فقط كتابتها بالقلم الجاف تغيّرت عندما أهديتها قلمَ حبرٍ.

كتبنا إحدانا للأخرى مرات عديدة أننا نرغب في أن نلتقي مجدداً، لكن أمنيتنا لم تتحقّق. فبعد دراستها الجامعية، أصبحت ماكو تعلّم المحادثة باللغة الإنجليزية في إحدى المدارس، وكان من الصعب عليها كمحاضرة الحصول على

إجازة طويلة، كما أن صحتي التي كانت معرضة للتدهور في أي لحظة، منعتني من السفر إلى الخارج.

لم نرَ إحدانا الأخرى منذ عودتها إلى اليابان، لكن مراسلاتنا استمرت بشكلٍ منتظم. وحتى عندما أصبح التواصل عبر البريد الإلكتروني شائعاً، واصلنا تبادل الرسائل الورقية، للحفاظ على ملمس الورق الحقيقي الذي نحبّه كثيراً. ذلك أنّه بالنسبة إليّ، كانت الرسائل التي تعبر البحر هي ماكو نفسها.

*

في شهر يونيو، قبل عام، مرضتُ. تفاقمت مشكلة قلبي المزمنة.

وبعد شهرٍ من دخولي المستشفى، أخبرني طبيبي أنه من الصعب علاجي في هذا المستشفى. قال إنّه سيكتب لي خطاب توصية لنقلي إلى مستشفى كبير في وسط سيدني فيه تجهيزات أفضل، لكني رفضتُ.

من نافذة مستشفى الضاحية حيث كنت أقيم، كان بإمكاني مشاهدة البحر الشاسع. وبالإضافة إلى حبي للمنظر، كنت مستقرةً بشكلٍ مريح في غرفةٍ خاصة وكنت أحبّ طبيبي والممرضات.

قبل بضع سنوات، كنتُ قد دخلت ذلك المستشفى الذي

نصحني به الآن لإجراء فحوصات معمقة. مكثت فية لمدة أسبوع، في غرفةٍ تطلّ على المباني، وكان الموظفون مشغولين على الدوام، ورائحة المطهّر تثير غثياني. فحتى لو كانت المعدات الطبية أكثر تطوراً هناك، لم أكن أريد العودة إلى تلك البيئة المثيرة للتوتّر.

«إذا كان لا بدّ أن أموت، فأفضّل أن يكون ذلك هنا».

في أحد أيام شهر يوليو، كتبتُ هذه الكلمات لماكو.

فلطالما كنتُ مقتنعة بأنني لن أعمّر طويلاً. قبل دخولي المدرسة الابتدائية، اصطحبتني أمي إلى المستشفى، حيث جعلوني أنتظر خارج غرفة الفحص. وبنظرة خاطفة، رأيت الطبيب وأمي يتهامسان. كانت مقطبة حاجبيها، كما لو أنّها تتألّم، رغم أنني أنا المريضة. لم تغادر هذه الصورة ذهني أبداً.

منذ ذلك اليوم، وخوفاً من مواجهة الموت، اعتدت على عدم توقّع أي شيء وانتظار الأسوأ.

عندما تلقّت ماكو رسالتي، اتصلتْ بالمستشفى. كانت هذه المرة الأولى التي تتصل فيها بي. وبمجرد أن رددتُ على مكالمتها في مكتب التمريض، توسّلت إليّ أن أسمح بنقلي فوراً وأن أفعل كلما في وسعي لكي أُشفى.

- ماري، هل نسيتِ وعدنا؟ سألتني، وهي تنتحب.

- وعدنا؟

تأسّفتُ لذلك، لكنني لم أتذكّر شيئاً.

- إذا كنتِ لا تتذكّرين، فلا بأس. لكنني أنا، أنتظر هذا اليوم منذ سنوات، قالت وهي تغلق سمّاعة الهاتف في وجهي.

بدت غاضبةً جداً مني. ظننتُ أنّها تكرهني. لكن بعد أسبوعٍ من ذلك، تلقيتُ رسالةً مفعمةً بالعطف، حيث كانت في زاوية الصفحة الأولى بقعةٌ بُنّية، وكأنها سائلٌ منسكب، مع فقاعةٍ كُتب فيها: «**تدفئي بشوكولاتة ساخنة!**».

«**إذا كنتِ تحبين هذا المستشفى، فأتفهّم رغبتك في البقاء فيه والتعافي بهدوء هناك**»، كتبتْ لي.

لماذا غيّرت رأيها فجأة، وهي التي كانت تعارض اختياري؟

«**مجرّد الوجود في مكانٍ تحبّينه يساعد على استعادة العافية. لقد علمني شخصٌ ما ذلك مؤخراً**».

عند قراءة هذه الجملة، فهمت فجأة.

كان الوعد مع ماكو يتعلق بأشجار الكرز في أبريل. المكان الذي كانت تعشقه.

كتبتُ رداً على الفور.

«قبل حلول الخريف، سأشفى مهما كلّف الأمر وسأزور طوكيو العام المقبل. سأتأمل أشجار الكرز معكِ».

مع الأسف، استمرّت حالتي الصحيّة في التدهور. وفي نهاية العام، كشف فحصٌ طبيٌّ شامل عن الحاجة إلى عملية جراحية معقدة. في أفضل الحالات، سأستعيد صحّة شخصٍ طبيعي. لكن المخاطر كانت كبيرة. فوفقاً للطبيب، كانت نسبة النجاح خمسين في المائة. إذا خضعتُ للعملية، كان عليّ أن أستعد لاحتمال عدم استيقاظي منها.

ارتعدتُ خوفاً. لكن طالما كانت هناك فرصة من اثنتين لنجاح العملية، أردت المحاولة. قرّرتُ أن أخضع للعملية لأستعيد صحّتي وأتأمّل أزهار الكرز مع ماكو. لقد وعدتها بذلك.

*

خلال العملية، وتحت تأثير التخدير، راودتني رؤية ضبابية.

في أي حقبةٍ وقعت هذه الأحداث؟ كانت هناك فتاتان صغيرتان تقف إحداهما بجانب الأخرى في قريةٍ في الريف الأسترالي. وبلطفٍ شديد، قدمت الأخت الكبرى زهرةً حديثة القطف لأختها الصغرى النحيلة طريحة الفراش.

بدأت الملامح تتشكل تدريجياً في هذه الذكرى المشوّشة، ثم عادت إلى ذهني بوضوح.

الأخت الصغرى التي لطالما كانت فريسةً للمرض، كانت أنا. والأخت الكبرى التي بقيْت بجانب سريرها، كانت ماكو. كنا أختين في حياةٍ سابقة بعيدة عنّا الآن.

في تلك الحياة الماضية، كان الموت يخيفني، لذلك كنت جبانة بطبعي. مثل اليوم. لكن الخوف من الموت هو خوفٌ من الحياة.

- هناك الكثير من الزهور الشبيهة بهذه في المرج. منظرها جميلٌ جداً! يجب أن نذهب معاً إلى هناك! قالت لي أختي الكبرى في ذلك اليوم.

أومأت برأسي، مع أنني كنتُ أعلم أنني عاجزة عن فعل ذلك. كان الوصول إلى المرج يتطلّب ساعتين سيراً على الأقدام. كان ذلك أصعب مما يمكنني فعله.

ثم غمرني نورٌ عظيم.

لقد سبق لي أن شعرتُ بهذا الإحساس. في حياتي الأخرى، لم تتردّد الفتاة الصغيرة التي كنتها في مدّ يدها نحو ذلك النور.

نادتني أختي.

لكنني لم أردّ على ندائها. كنتُ واهنة جداً.

لم أعد أطيق حياة المعاناة هذه.

كنتُ مستعدة للموت.

سامحيني، يا أختي الكبرى، لأنني لم أذهب لرؤية الزهور معكِ.

الحياة التي تخلّيت عنها.

ذكريات حياتي السابقة.

سأنسى كل ذلك، مرة أخرى...

- ماري!

توقّفتُ فجأة عن مدّ يدي نحو النور.

- ماري! هل نسيتِ؟ أنا متشوّقة كثيراً لأن نفي بوعدنا!

كانت هذه ماكو، وكانت تبكي.

كانت سريعة البكاء. كانت أقوى مني بكثير، لكنها قد تبكي على زهورٍ ذابلة. ذكّرني ذلك باليوم الذي أعادت فيه تمثيل مسرحية موسيقية شاهدتها في دار الأوبرا بسيدني، بحماس جارف، لتشاركني إياها فحسب.

جحظت عيناها أمام حجم شرائح لحم البقر الأسترالي على الشواية، والتي وجدتها ضخمة جدّاً. رافقتني إلى الشاطئ، وأنا التي لم تستطع السباحة في البحر، وهناك تحت

المظلة، أكلنا طبقاً من السمك والبطاطا وتسامرنا حتى وقت متأخرٍ. وفي المساء، ونحن على الشرفة، بحثنا معاً عن كوكبة صليب الجنوب.

في الليلة التي سبقت مغادرتها، نمنا في سريري. يداً بيد، ورأسانا يستندان أحدهما إلى الآخر. كانت ماكو، كعادتها، تبكي، رافضة مجيء الغد. أما أنا، فكنت أبكي بنفس القدر.

كان لديّ صندوق ممتلئ برسائلها. حتى عندما كنا بعيدتين إحدانا عن الأخرى، ظللنا نتبادل في رسائلنا الودودة الحديث عن العوالم التي نعيش فيها.

شكراً ماكو على مجيئكِ إلى سيدني. شكراً على مجيئكِ لمقابلتي.

عاد ذلك اليوم إلى ذاكرتي بوضوح.

ذكّرتني ابتسامتها بشخصٍ ما...

«شخصٌ ما؟».

نعم.

في تلك اللحظة، شعرتُ بأنني أعرفها من قبل. لم تُمحى ذكريات حياتي السابقة تماماً، وإنما احتفظت بالحدّ الأدنى منها فقط.

وذلك لكي أفهم على الفور أنّها شخص مهم. لقد مُنحت

فرصة ثانية لكي أفي في حياتي هذه بالوعد الذي لم أستطع الوفاء به في حياتي الأخرى.

- ماري!

في مواجهة النور، سمعت ماكو تنادي باسمي.
وأجبت هذه المرة.

- ماكو!

سأعيش.
سأتمسّك بالحياة.
ليس لأننا كنا أختين. بل من أجلنا نحن الاثنتين، اليوم.

بعد انتهاء العملية الجراحية، فتحت عيني. كانت حياةٌ جديدة في انتظاري.

*

في شهر أبريل، استقللتُ الطائرة في مطار سيدني تحت سماءٍ خريفية زرقاء رائعة.
كانت سرعة شفائي قد فاجأت طبيبي، لكنها لم تفاجئني.

لقد تعافى جسدي في الوقت المناسب مع موسم تفتّح أزهار الكرز. كان يدوم بضعة أيام فقط، على عكس أزهار الجَكَرَندة التي تظلّ مُزهرة طوال فصل الربيع، لذلك لم يكن لديّ ثانية من الوقت لأضيعها.

وطئت قدماي أرض طوكيو للمرة الأولى. بعد عشر سنوات، التقيت ماكو مرة أخرى، وتأمّلنا معاً أشجار الكرز على طول النهر.

على ضفة النهر المزدحمة بمجموعات صغيرة تتنزه تحت الأشجار، قلتُ لها:

- في المرة القادمة، تعالي إلى سيدني لمشاهدة أشجار الجَكَرَندة معي.

ابتسمت لي وأومأت برأسها بحماسةٍ، وهي تهزّ شعرها الكستنائي.

- أعدكِ بذلك!

*

كنا نجهل، أنا وهي، ما يخبئه لنا المستقبل القريب. كنا سنواجه أحداثاً ستعجز إرادتنا أمامها، أحداثاً لا نستطيع مقاومتها. سيجعلنا قلقنا، الذي سيتزايد في تلك اللحظات،

نكتب أسوأ السيناريوهات. وحتى لو كنّا نحن من نخلق المستقبل، سوف نشعر بالتهديد، كما لو كان مفروضاً علينا، كما لو كان مكتوباً.

لكن في الحقيقة، لم يكن كل هذا موجوداً. ما كان ملموساً، هنا والآن، هو أنني كنت أتنفس، وأن ماكو كانت تبتسم، وأن أشجار الكرز كانت مزهرة.

كانت البتلات تطفو هنا وهناك على سطح الماء.

سأعيش فقط في انتظار اليوم الذي سيتحقق فيه وعدنا. عندما تعود ماكو إلى سيدني لمشاهدة أشجار الجَكَرَندة، سنقطع وعداً جديداً.

أقسمتُ لنفسي على ذلك، وبسعادةٍ بالغة، تأمّلت البتلات وهي تنجرف مع التيار.

الفصل الثاني عشر

رسالة حب

الأبيض • طوكيو

أكتب لكَ هذه الرسالة اليوم، وأنا جالسة في مكاني المعتاد.

أريد أن أصارحكَ بمشاعري، وأنا أستمتع بالشوكولاتة الساخنة التي قدمتها لي للتو، وآخذ وقتي معها.

لقد دارت دورةُ الفصول دورةً ونصف منذ أن بدأتُ المجيء إلى مقهى ماربل. أنا لا أكره اللامبالاة المعتادة في سلاسل المقاهي، لكني أعشق السلام الداخلي الذي يمنحني إياه هذا المكان الفريد من نوعه.

كما أستمتع بالتغيير العرضي للّوحات المعلقة على الجدران. منحتني تراكبات الدوائر الخضراء بأقلام الباستيل، التي تزين المقهى منذ الأسبوع الماضي، شعوراً بالحنين اللطيف.

لا أعرف اسمكَ الحقيقي لأنكَ لا تضع شارةً اسمية، وبما

أنّكَ النادل الوحيد هنا، فلا زملاء لك لكي ينادونك باسمك. كل ما أعرفه هو أنّك رجل أصغر مني سنّاً بعض الشيء على الأرجح وأنك تعمل في هذا المكان.

لكن هذا ليس مهماً. لأنني منذ اليوم الأول، منحتُكَ اسماً في السرّ.

*

كان ذلك في يوم شتوي مثلج.

كنتُ قد ذهبت للتسوّق في سوقٍ شعبية على الضفة، عندما لمحتُ للمرة الأولى، على الجانب الآخر من الجسر، مقهى ماربل مضاءً خلف الأشجار العارية الضخمة. ربما لم ألاحظه من قبل لأنني كنتُ دائماً مستغرقة في تأمّل أشجار الكرز. كان البرد قارساً وعبرت الجسر لكي أحظى بالدفء.

كان داخلُ المقهى دافئاً وباعثاً على الهدوء لدرجة كادت تجعلني أبكي. كانت لشجيرات التين البرّي في المدخل فسحةٌ كافية لتنمو وتنتشر، وكانت الطاولات والكراسي المصنوعة من الخشب الخامّ تستقبلُ الزبائن بودٍّ.

جلست في الزاوية، قرب النافذة، وأطلقت تنهيدة ارتياحٍ. تدفأت أصابعي المتجمدة من البرد، وكذلك خداي وأذناي المتجمدتان، ثم استرخى جسدي سريعاً.

على الطاولة المجاورة، كان يجلس صبيٌّ صغير بقَصّة شعر على شكل وعاء مع والده الشابّ.

كان الطفل يمسك بنموذج طائرة فوق رأسه، مقلداً صوت المحرك مع ضحكات عالية.

كانا قد دخلا قبلي إلى المقهى، وبدا أنهما قد طلبا مشروبيهما بالفعل، وينتظران.

فتحتُ قائمة المشروبات، مترددة بين القهوة بالحليب وشاي إيرل غراي.

في تلك اللحظة، قدّمتَ طلبات جارَيّ.

- أوه، إنها الشوكولا شو لتاكومي! قال الصبي الصغير بحماسٍ.

وجدتُ نطقَه لـ « شوكولا شو» لطيفاً جداً بحيث نظرت في اتجاهه رغماً عني.

قدّمتَ القهوة لوالده أولاً، ثم وضعتَ الشوكولاتة الساخنة أمام تاكومي بعنايةٍ.

- تفضّل كوبك من الشوكولا شو. لقد أعددتها بكلّ حب.

كان صوتك وابتسامتك موجّهين لتاكومي.

لو كنتَ تحدّثتَ إليه كطفلٍ، لأظهرتَ فقط صورة النادل

اللطيف. لكن ما أسر قلبي هو أن صوتك عكَسَ احترام الزبون والافتخار بالمهنة. لقد خاطبتَ هذا الصبي الصغير في سن رياض الأطفال بصدقٍ كما لو أنه زبون بالغ. ووجدتُ نطقك لـ«شوكولا شو» مفعماً بالسخاء.

أوه، هذا الرجل أصيل، فكّرتُ في نفسي.

لم يكن صدقك يتبع التوجيهات السطحية لدليل تعليمات ما.

كنتَ على وشك الابتعاد عن طاولتهما، عندما ناديتُك لأطلب مشروبي.

- شوكولا شو، من فضلك.

- شوكولا شو، حسناً، قلتَ مؤكّداً طلبي بابتسامةٍ ملائكية.

هذا التعبير، هذه «الشوكولا شو» التي تدفقت من شفتيك، والتي ذقتُها من جديد، كانت أكثر مرارة بقليل من تلك الموجّهة لتاكومي، مع كونها حلوة قليلاً. بذلتُ جهداً لكي لا أشعر بالغيرة.

بفضلك، فهمتُ أنه إضافة إلى الحب من النظرة الأولى، هناك حب «من الكلمة الأولى».

وهكذا وجدت لقبك.

«شوكولا شو».

لم أكفّ أبداً عن مناداتك بهذا اللقب.

*

في هذا المقهى، أكتب رسائل لصديقتي في سيدني.

لقد عشتُ هناك مدّة سنة عندما كنت في المدرسة الثانوية. كانت... كانت ماري الابنة الوحيدة للعائلة التي استضافتني.

ورغم مستواي الجيد جداً في اللغة الإنجليزية، أدركتُ هناك أن قدراتي في المحادثة كانت غير كافية.

لكن الغريب في الأمر أنه كان بإمكاننا، أنا وماري، التواصل بكلماتٍ قليلة. فأحياناً، كانت نظرةٌ واحدة تكفينا لنخمّن حالتنا النفسية، رغم أنه حتى بين اليابانيين، يحدث أحياناً سوءُ فهمٍ أو تكون أفكار المحاور غير مفهومة، فلا يكون الحوار سلساً.

لكن مع ماري، كان الأمر معاكساً تماماً. فحتى لو استخدمتْ كلماتٍ لم أكن أعرفها، كنتُ أفهمها. حين كنت أجد صعوبةً في التعبير باللغة الإنجليزية، كانت هي تكمل جملي. شيئاً فشيئاً، مع قضاء الكثير من الوقت معها، راحت

الإنجليزية تخرج من فمي تلقائياً. كان الأمر كما لو كنتُ أتذكر اللغة التي كنتُ أتحدثها في الماضي. شعرت بأنها هويتي الحقيقية، بأنني أعود أستراليةً عفوية، لغتها الأم هي الإنجليزية. لكن بما أن هذه المعجزة كانت تحدث فقط مع ماري، كان عليّ مع ذلك أن أكرّس نفسي بجدية لدراسة اللغة الإنجليزية لكي أعبّر بشكلٍ صحيح.

كانت الكتابة لها من اليابان بالنسبة إليّ شكلاً من أشكال إعادة التأهيل، لاستعادة ذاتي الحقيقية مؤقتاً في حياتي اليومية المضطربة وللمضي قدماً.

وعندما اكتشفتُ مقهى ماربل، عرفت أنني عثرتُ على المكان المثالي لمراسلاتي. كان فضاءً فريداً حيث يمكنني تحرير ذاتي والكتابة لماري.

لم نتشاجر أبداً، باستثناء مرة واحدة العام الماضي، عبر الهاتف، بعد دخولها المستشفى.

كانت حالتها الصحية خطرة، ورفضتْ نصيحة طبيبها بنقلها إلى مستشفى أكبر، بحجة أنّها تحب المستشفى الذي تقيم فيه. فطلبت منها بأنانية أن تقبل وتفعل كل ما في وسعها لكي تتماثل للشفاء. كنت خائفةً من فقدان أعز صديقاتي، فلم آخذ مشاعرها بعين الاعتبار.

شعرتُ بالإحباط، فجئت إلى المقهى لأنني أردت تذوق

الشوكولاتة الساخنة عندكَ، لكنني وجدتُ مكاني مشغولاً. لم يكن لديّ خيار سوى الجلوس في مكان آخر، وبينما كنت أجتر أفكاري، قلتَ لي فجأة:

- إنّه مكانكِ المعتاد. وبرأيي، سوف تشعرين بتحسّنٍ على طاولتكِ المفضّلة.

شوكولا شو، أنتَ لا تتخيل مفاجأتي، والفرح والارتياح اللذين شعرت بهما في تلك اللحظة.

كنتَ قد نظّفتَ طاولتي، التي كانت تشعّ نوراً، تماماً كما لو أنّ هذا الركن الصغير ينتظرني.

أن يوجد المرءُ في مكانٍ يحبّه يحييه من جديد. حقاً.

كنت قد أدركتُ أخيراً أنّ أفضل علاجٍ لماري هو البقاء حيث تشعرُ بالراحة. فأنا نفسي كنتُ أفضل حالاً في هذا المقهى من أن أكون في مطعمٍ فاخر لا يربطني به شيء.

أنا أجلس في هذا المكان لأن هذا الركن من الصالة يواسيني، لأنني أستطيع تأمّل أشجار الكرز التي أحبّها كثيراً من خلال الواجهة الزجاجية الكبيرة، ولأنني في ذلك اليوم المثلج، وقعتُ في حبك وأنا جالسة على هذا الكرسي.

هذا المكان يرحّب بي بحنانٍ دائماً. عندما أجلس فيه،

أتذكر المشهد مع الصبي الصغير وأراقبك خلسةً وأنت تستمتع بعملك. أشيح بنظري كي لا تلتقي أعيننا، لكنني سرعان ما عرفت كيف أراقبك من طرف عيني. لأنه لو تلاقت نظراتنا، كنتَ ستأتي، أنت الذي تتفانى في عملك، لتسألني إن كنتُ أرغب في شيء. ولن أستطيع منع نفسي من أن أقول لك إنني أحبك.

*

تغلّبت ماري على مرضها، وتعافت في وقتٍ قياسيّ، وجاءت لزيارتي في طوكيو مؤخراً.

وجنباً إلى جنب، شاهدنا أشجار الكرز المزهرة على ضفة النهر. ووعدتها بأنني سأذهب إلى سيدني في المرة القادمة.

هناك العديد من الأمنيات التي لا تتحقّق، في حين أن خطوة صغيرة إلى الأمام قد تكفي لتحقيقها.

مشاهدتنا لمنظرنا المفضّل، مع شخصنا المفضّل، في مكاننا المفضّل، والتحدث عن موضوعنا المفضّل.

حتى الآن، كنت خجولة أمام هذه الرغبات الأساسية.

لكن إذا لم نفعل شيئاً في اللحظة التي تولد فيها أمنيةٌ ما، فقد تختفي مع مشاعرنا في نهاية المطاف.

فكّرتُ فيكَ كثيراً وأنا أتأمّل النهر وهو يتدفّق تحت أشجار الكرز.

أنا أذهب إلى مقهى ماربل يوم الخميس، يوم عطلتي، عند الساعة الثالثة عصراً.

أجلس دائماً إلى نفس الطاولة، وأطلب دائماً نفس المشروب.

كان يكفيني أن أراكَ لكي أشعر بالسعادة، إذا استطعتُ أن أقول لك: «شوكولا شو، من فضلك».

لكنني أرغب الآن في أن أتقدّم خطوة إلى الأمام، أن أغيّر الطاولة والتوقيت.

*

اللون الوردي للبتلات المتطايرة مع الريح، وخضرة الأوراق الناعمة، وحمرة أوراق القيقب الواهية في الخريف، وبياض الثلج النقي، من الآن فصاعداً، أريد أن أراها معك.

أريد أن أحكي لك قصتي، وأن أصغي لقصتك.

وأن أشاركك الكثير من الأحلام البعيدة كالنجوم والكثير من الأحداث الصغيرة جداً بحيث يمكن أن تحتويها راحةُ اليد.

*

إذاً، يا شوكولا شو.
هل تقبل أن تخلع مئزرك وتأتي للتعرف عليّ؟

أنا آسفة لأن هذه الرسالة طويلة جداً. أول رسالة حبٍّ أكتبها هي على وشك الانتهاء، سأختمها وأسلّمها لك.
أفكّر في أن أرفقها بكلمةٍ، والابتسامة على شفتَي:

«لقد أعددتها بكلّ حب».

مكتبة
t.me/soramnqraa

ملاحظات

هذا العمل هو إعادةُ كتابةٍ واقتباسٌ على شكل رواية لـ 12 Coloured Pastels - Juuni-iro no pasuteru، التي نُشِرَت بين يونيو 2015 ومايو 2016 على الموقع الرسمي لمجلة **جابارااليا في سيدني**.

المعلومات حول سيدني صحيحة بتاريخ يوليو 2017.

ميتشيكو أوياما

خميس بنكهة الشوكولاتة

«أعتقد أن ما يهمّ ليس سلوكَ طريقٍ مستقيم،
بل السيرُ باستقامةٍ قدر الإمكان على طريقٍ متعرّج».

مَن أحببتُها، كانت شوكولا شو.
لم أكن أعرف اسمها الحقيقي. أنا مَن أطلقَ عليها هذا اللقب.
كانت تجلس بجانب النافذة، في ركنٍ من مقهى ماربل حيث كنتُ أعمل.
منذ ستّة أشهر، وهي تأتي بمفردها وتجلس دائماً في نفس المكان، وتطلب دائماً نفس المشروب.
ـ شوكولا شو، من فضلك.
كانت ترفع إليّ عينين برّاقتين مثل قطرتَي ماء بعد مطرٍ غزيرٍ، وشعرها الكستنائي يتماوج حتى كتفيها.
كانت شوكولا شو تأتي كلّ خميسٍ.

فكّرتُ فيكَ كثيراً وأنا أتأمّل النهر وهو يتدفّق تحت أشجار الكرز.
أنا أذهب إلى مقهى ماربل يوم الخميس، يوم عطلتي، عند الساعة الثالثة عصراً.
أجلس دائماً إلى نفس الطاولة، وأطلب دائماً نفس المشروب.
كان يكفيني أن أراكَ لكي أشعر بالسعادة، إذا استطعتُ أن أقول لك: «شوكولا شو، من فضلك».
لكنني أرغب الآن في أن أتقدّم خطوة إلى الأمام، أن أغيّر الطاولة والتوقيت.

مكتبة
t.me/soramnqraa

المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
markaz.casablanca@gmail.com